الرابطة

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية - تصدرها رابطة العالم الإسلامي

السنة ٥٦ العدد ٦٤٧ ذو الحجة١٤٤١هـ - أغسطس٢٠٢٠م

فقه الطوارئ

في البيان الختامي لمؤتمر «فقه الطوارئ»:

تقليص أعداد الحجاج باعتبار الحالة الاستثنائية

السنة ٥٦ العدد ٦٤٧ ذو الحجة ١٤٤١هـ - أغسطس ٢٠٢٠م

فقه الطوارئ

أحدثت جائحة كورونا تأثيرًا ملموسًا في حياة الناس ومعاشهم وعبادتهم، مما حتَّم الاجتهاد وإصدار أحكام شرعية للمشكلات المستجدة.

وقد ترددت أسئلة فقهية كثيرة عن الاضطرار إلى إغلاق المساجد مؤقتًا والتوقف عن إقامة صلاة الجمعة، ثم جاءت أسئلة أخرى بعد العودة بحذر إلى فتح المساجد والالتزام بالتباعد وعدم اتصال الصفوف، وإمكانية الائتمام بالإمام عن بعد بطريق وسائل التواصل والميكرفونات.

وثارت مسائل أخرى حول الزكاة؛ هل يكون التعجيل بإخراج الزكاة مع بلوغ النصاب قبل دوران الحول لحاجة الفقراء بسبب الجائحة، وحكم تأخيرها للنقص المحتمل لدخل المزكي أو عدم وجود سيولة مالية لديه، وإمكان تغيير مصارف الزكاة.

ومسائل تتعلق بالصوم؛ هل يصوم المصاب بالفيروس وهل يجوز أن تفطر الطواقم الطبية، ونحو ذلك.

ومسائل عن الحج وحكم تأجيل الحج للقادرين عليه مخافة العدوى، وإلغائه للضرورة على حجاج بعينهم، وكيفية أدائه بالصورة التي لا تعرض حياة الحجاج للخطر، ولا تؤدي إلى زيادة تفشي الوباء.

وجوانب المعاملات وما طرأ عليها بسبب القوة القاهرة للوباء ذات التأثير الواضح على العقود وعلاقات العمل، والديون والحقوق المترتبة على الناس في حال الركود.

وهناك مسائل تتعلق بالتعامل مع مرضى الوباء والامتناع عن زيارة الوالدين وعدم المصافحة، ومخالطة مريض كورونا، وهل يدخل في باب الجنايات إن تسبب في نقل العدوى لغيره؟

بل إن الأزمة قد أثارت مسائل فيما يتعلق بالاعتقاد مثل مسألة الخير والشر، والقضاء والقدر، وفهم أقدار الله تعالى على النحو الصحيح، وباعتبار أن أفعاله كلها يسر وخير.

ولا شك أن النظر في كل ذلك يحتاج إلى الاستناد على القواعد الشرعية، مثل قاعدة «رفع الحرج»، قال الله تعالى: «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ» (الحج/٧٨)، وما جاء من آيات تدلّ على هذا المعنى؛ كقوله تعالى: «يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (البقرة/١٨٥).

ومعلوم أن فتاوى المفتين ربما تكون قد تباينت في أثناء الأزمة، مع العلم بأنّها فتاوى مؤصّلة، وصدرت عن علماء مشهود لهم. وكان من الضروري التئام رأي الفقهاء والمجامع الفقهية. لذلك رأت رابطة العالم الإسلامي؛ أن تقوم بالتعاون مع مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي للعمل على توحيد الفتوى بمناقشة هذه النوازل الفقهية والنظر فيما يوسع الآفاق والمدارك.

وهذا ما انتهى إليه مؤتمر فقه الطوارئ الذي انعقد في يومي ٢٧ – ٢٨ من شهر ذي القعدة ١٤٤١هـ الموافق له ١٨ – ١٩ يوليو ٢٠٢٠م، بتبيين الأحكام الشرعية لهذه المسائل التي تمس واقع الناس وتنير الطريق للسائرين.

نسأل الله أن يكون فيما توصل إليه المؤتمر من قرارات وتوصيات الخير والصلاح لهذه الأمة، وندعوه تعالى أن يرفع عن الأمّة ما حلّ بها من بلاء، ويرفع عنها الوباء، ويصرف الشرّ والضرّ عن عباده أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

شهرية - علمية - ثقافية

الأمين العام
أ.د. محمد بن عبد الكريم العيسى

المدير العام للاتصال والإعلام
أ. عبدالوهاب بن محمد الشهري

رئيس التحرير
د. عثمان أبوزيد عثمان

مدير التحرير
ياسر الغامدي

المراسلات:
مجلة الرابطة ص.ب ٥٣٧ مكة المكرمة
هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٣٨٧
فاكس: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٤٨٩
المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير
البريد الإلكتروني:

rabitamag@gmail.com

الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر
للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت: www.themwl.org

طبعت بمطابع تعليم الطباعة
رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٤٣ - ردمد: ١٦٥٨-١٦٩٥

المحتويات

الجائحة حملت علماء الشريعة مسؤوليةً كبرى في مواجهة تيه السؤال وحيرة الجواب 5

المنتدى العالمي للقيادات الدينية يصدر إعلان التضامن الأخلاقي 29

الحاج الإندونيسي في أقدم فيلم وثائقي 34

العدد: ٦٤٧
ذو الحجة ١٤٤١ هـ - أغسطس ٢٠٢٠ م

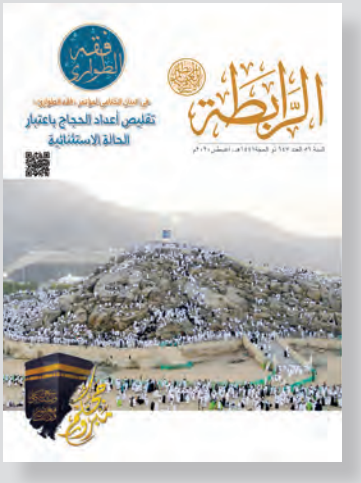

غلاف العدد

بيان من الرابطة بمناسبة اليوم العالمي (للاتجار بالبشر)

مكة المكرمة - الرابطة

أكدت رابطة العالم الإسلامي في بيان لها بمناسبة اليوم العالمي للاتجار بالبشر أنها تتابع بعناية بالغة أبعاد تفشي هذه الظاهرة الخطيرة وتداعياتها الإقليمية والدولية، وتولي اهتمامها الكبير بالتعاون مع المجتمع الدولي لمكافحتها والحد منها، حيث تجسد هذا الاهتمام بالمشاركة الفعالة في عدد من المؤتمرات والملتقيات الدولية ذات الصلة، والمصادقة والتوقيع على عدد من الاتفاقيات والشراكات ذات البعد الإنساني، مع مختلف الحكومات والهيئات الدولية والمنظمات الإنسانية.

وأوضح معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى أن ظاهرة (الاتجار بالبشر) باتت تشكل تهديداً خطيراً للإنسانية، وأرَقاً مستمراً للمجتمعات البشرية، بعد أن أصبحت جريمة منظمة في عالم اليوم؛ وما تمثله من استغلال جائر وانتهاك صارخ لكرامة الإنسان وحقوقه وحرياته الأساسية، في عصر بلغت فيه الحضارة الإنسانية أوج تقدمها وازدهارها.

وبيَّن معاليه حاجة الإنسان في كل عصر، لضمان كرامته، وتحقيق السلام والوئام بين أبناء العائلة الإنسانية الواحدة، إلا أنه للأسف الشديد - ومع التقدم العلمي الهائل والتطور التقني المتسارع - فإن الإنسان المعاصر لا يزال يعاني من ضغوط اقتصادية وصلت إلى تسليع الإنسان واستهلاكه دون مراعاة للقيم والأخلاق، ليتفاجأ العالم اليوم ببروز الرق والاستعباد في شكله الجديد، المتمثل في (ظاهرة الاتجار بالبشر).

٤٠ مرة حدث تعليق كلي أو جزئي للحج
48

دور طرق الحج ورحلات الحجاج في التواصل الحضاري
53

ربع قرن على سربرنيتشا

في هذه الأيام نستذكر مرور ربع قـــرن على جريمـــة الإبادة الجماعية المروعة في سربرنيتشا بالبوســـنة والهرســـك ، وقـــد قام معالي الأمين العام الشـــيخ د. محمـــد العيسى عـــلى رأس وفد من كبار العلماء المســـلمين بزيارة موقع الإبادة أداء لواجب التضامن الإسلامي.

نظمته رابطة العالم الإسلامي ومجلس الإمارات للإفتاء الشرعي

د. العيسى في مؤتمر «فقه الطوارئ»:

الجائحة حملت علماء الشريعة مسؤوليةً كبرى في مواجهة تيه السؤال وحيرة الجواب

مكة المكرمة:

انطلقت فعاليات المؤتمر الـــدولي الذي نظمته (عن بُعد) رابطة العالم الإسلامي ومجلس الإمارات للإفتاء الشرعي، بعنوان «فقه الطوارئ: معالم فقه ما بعد جائحة كورونا»، والـــذي تتحد فيه جهود كبار علماء الأمة ومفتيها وهيئاتِ كبار العلماء ودورِ الإفتاء والمجامعِ الفقهية في العالم الإســـلامي مع كوكبةٍ علميةٍ من الأكاديميين والمفكرين الإسلاميين

حول العالم، وشاركت فيه منظمة التعاون الإسلامي لبيان أحكام المسائل الشرعية الملحّة التي نشأت عن هذه الجائحة.

وافتُتِح المؤتمر بكلمة لمعالي الشـــيخ نهيان بن مبـــارك آل نهيان وزير التســـامح بدولة الإمارات العربية المتحدة، ثمن فيهـــا ما يمثله المؤتمر الهام من حرص كبير، على تأكيد دور الشريعة الإسلامية، كمحرك للنظام الاجتماعي العام، معبرا عن شكره للجميع على مساعيهم تجاه بلورة أهميتها باستمرار، باعتبارها حصناً للســـلامة والأمان في المجتمع، بل وسبيلاً صحيحاً لتوجيه حياة المسلمين، تتحقق بها ومن خلالها، رعاية مصلحة الفرد، وحماية مصالح المجتمع».

وأضاف: «نحن دولة، ولله الحمد، تعتز بالإسلام ديناً، ويسعدها كثيراً، في هذا السبيل دعم هذا المؤتمر، الذي يسعى إلى تقديم حلول ومقترحات تُثري حياة الأمة، وتجدد واقعها، وترشـــد إلى مستقبلها، كخير أمة أُخرجت للناس، ونحن ولله الحمد دولة يسعدها كثيراً الإسهام في تحقيق الترابط والتواصل الفكري والحقيقي بينكم، أنتم علمـــاء الأمة، وبين جمهرة المسلمين في كل مكان».

ولفت معـــالي وزير التســـامح إلى أن فيروس كورونا المســـتجد خلّف آثارًا غير مسبوقة على كافة مجالات الحياة، وعلى العلاقات بين الأمم والشعوب، وعلى علاقة الإنســـان بخالقه وعلاقاته مع الآخرين من حوله، مستطرداً: «إن هذا المؤتمر إنما يعلن بكل وضوح أن الإيمان بالله وتحمل المســـؤولية والعزم والتصميم والعمل المشـــترك في مواجهة التحديات، إنما تمثل في مجموعهـــا الطريق الأكيد إلى تحقيق النجاح».

وأضـــاف: «إنكم في هذا المؤتمـــر إنما تؤكدون كذلك على دور علماء الأمة في تعبئة جهود المجتمع، في مواجهة الطوارئ والأزمـــات، وتركزون في ذلك بالذات، عـــلى ضرورة أن يكون المنهـــج العلمي، والتقدم الإنساني، أسلوباً أساســـياً، لمواجهة هذا الوباء، كما أن وجودكم معاً في هذا المؤتمر هو كذلك دعوة مهمة إلى التعاون الإقليمي والعالمي، من أجل التغلب على المشكلات، والحفاظ على الصحة العامة في كل مكان».

وزير التسامح الإماراتي: المؤتمر يؤكد دور الشريعة كمحرك للنظام الاجتماعي العام

بن بيّه: احترازات الحج اجتهاد مضبوط بالضبط الشرعي والمنهجي العلمي الصحيح

قادري: تنوع الفتاوى له قيمة وأهمية بالغة في تطوير الفقه الإسلامي

جمعة: نحتاج إلى الفهم الصحيح للنص من خلال القواعد العلمية والمنطقية

د. العيسى في مؤتمر «فقه الطوارئ»

وأكـــد آل نهيان، أن شريعة اللـــه إنما تدعو إلى الوحدة والتآخي والتعاون، من أجل تحقيق مصلحة العباد، وتمد المسلمين بزاد فكري، ونظام قانوني، وعطاءٍ روحي، يكفل للفـــرد والمجتمع حياة طيبة وآمنة، وتجسد أمام الناس أن الدين الإسلامي يُسر لا عُسر، وأن فقه الشريعة مرن بطبيعته، متطور في تكوينه، يقوم على الاجتهاد وإعمال العقل، والأخذ بأســـباب العلم والمعرفة، في إطارٍ من روح الشرع، وجوهر الدين.

وتابع معالي الشيخ نهيان قائلاً: «إننا إنما نضع ثقتنا وتفاؤلنا، في هذا المؤتمر، ونتوقع منه أن يؤدي إلى عدد من الفتاوى السديدة، وأن يضع من برامج التوجيه ما يجعل المجتمعات الإســـلامية قادرة على التعامـــل مع آثار هذا الوبـــاء، ونريد منكم كذلك، توجيه الفرد المسلم، نحو صياغة أموره الحياتية في ظل الفيروس وفق منهج إسلامي رشيد، والخروج بالمقترحات المناسبة في مجالات العبادات والمعتقدات والمعاملات، وفي كيفية تحقيق النجاح في إدارة هذه الأزمة الطارئة، ســـواء في المجـــال الاقتصادي، أو الصحي، أو الاجتماعي بشكلٍ عام.

بعدها ألقى معالي الشـــيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيـــسى الأمين العـــام لرابطة العالم الإســـلامي ورئيس هيئة علماء المسلمين، كلمة أكد فيها أن هذا المؤتمـــر يناقش موضوعاً مهماً يتعلق بمعالم فقـــه ما بعد جائحة كُورونـــا؛ نظراً لما في تضاعيف هذا الفقه من مسائلَ شرعية مهمة، ألحَّت بها المستجِداتُ والنوازل، وفي طليعتها، بل والباعثُ الرئيس على عقد هذا المؤتمر تلك الجائحةُ المستجدة.

وقال معاليه: «لقد نشأت عن هذه النازلة مسائلُ شرعيةٌ ملحـــةٌ في العبادات والأحوال الشـــخصية والمعاملات، وكان على حَمَلَةِ الشريعة، مســـؤوليةٌ كبرى في بيـــان أحكامها؛ لئلا تظـــل عالقةً في تيه السؤال، وحيرة الجواب»، مضيفاً «ولئن سعِد الجميع باتفـــاق كلمة العلماء تحت مظلـــة مجامعَ علميةٍ

وزير التسامح الإماراتي يؤكد دور الشريعة كمحرك للنظام الاجتماعي العام

(كلٌّ في فجِّه العميق)، فإنا سعادتنا لا توصف وقد انعقدت عزيمة تلك المجامع، لتلتقي هنا على كلمة سواء في مسائلَ ذاتِ شؤونٍ وشجون».

وتابع معالي الأمين العـــام للرابطة: «لقد كان الباعـــث، على هـــذا المؤتمرِ تلكم الأســـئلة الملحة، والقضايا العالقة، والأجوبة المتعددة، في سياق شتات علمي، حيَّر المستطلع والمستفتي، وكلنا على موعدٍ، مع علماء الأمة الإسلامية للتصدي لتلك المستجدِات الفقهية، عبر هذا الملتقى، موضحين الحكمَ الشرعيِ في مسائلها وفروعِها «بالبينات والزُّبُر»، اضطلاعاً بالمسؤولية الشرعية، حيث اختارهم الله تعالى لحمل الأمانة وأدائها، فكانوا أحقَّ بها وأهلَها».

وأوضح أن المؤتمر سيتطرق أيضاً - وهو ينتهز فرصةَ هذا الجمع الاستثنائيِّ الكبير- إلى موضوعات شرعية أخرى مُلِحَّةٍ في سياقنا الإسلامي.

وختم معاليه بقوله: «إن هذه الجائحةَ مع كَبَدِ معاناتها، تحمـــل منافع للناس، فقد فتحت للخلق آفاقاً وتدابيرَ، لم تخطر لهم على بال»، مقدماً شكره لفضيلة العلامة الشـــيخ عبدالله بن بيّه لإسهامه الفاعلَ والمتميز، فيما نراه من تباشـــير نجاح هذا المؤتمر.

ثم ألقى معالي العلامـــة عبدالله بن بيّه، رئيس مجلس الإمارات للإفتاء الشرعـــي كلمة قال فيها: «نجتمـــع اليوم والعالـــم يمرُّ بأزمـــة لا عهدَ له بمثيلاتها، جرّاء تفشّي وباء فيروس كورونا المستجدّ، الذي أصاب الملايينَ وحصد أرواح مئات الآلاف ولا يزال يتمـــدّد من بلد إلى بلد، بل ويهدّد دولاً عُوفِيَتْ بالمعاودة والتّجدّد، فاستحق بسرعة فشوّه وشمول انتشاره، التصنيف والتوصيف بالجائحة من قبل مُنظمة الصّحة العالمية».

وأضـــاف: «إننـــا نجتمع اليوم وقـــد تباعدت أجسادنا وإن تقاربت بحمد الله قلوبنا، نجتمع في أول مؤتمر فقهي من هـــذا النوع لنتدارس نتائج

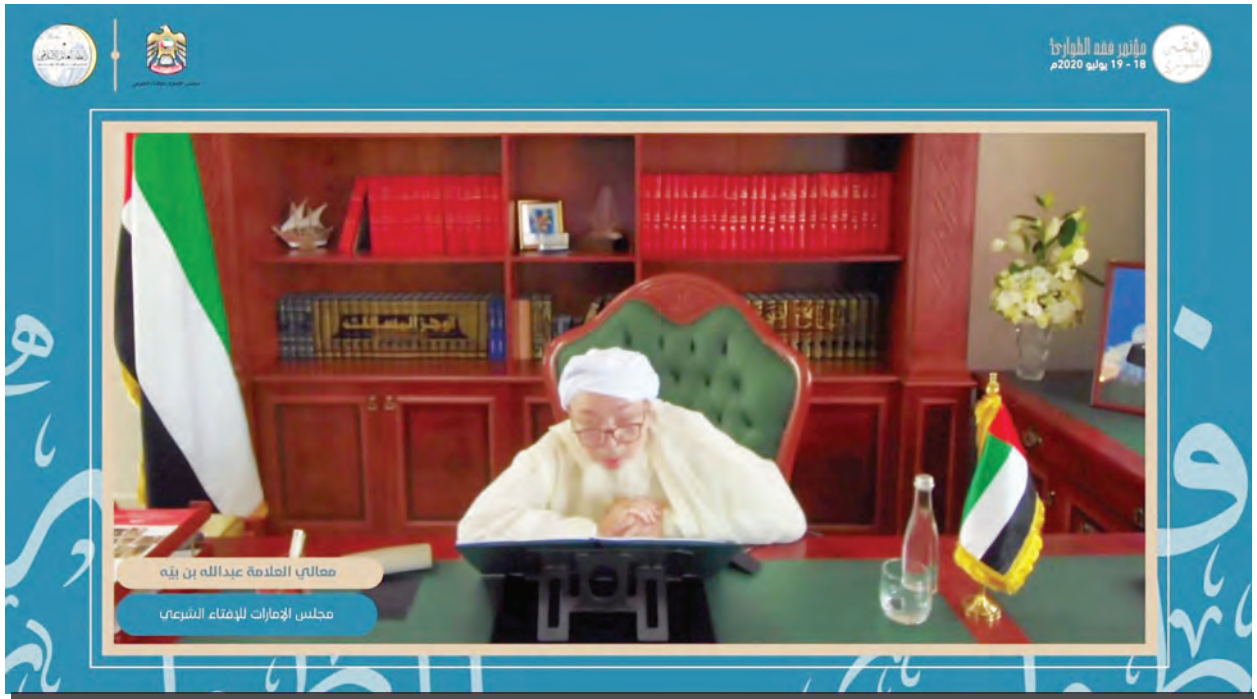

بن بيّه: احترازات الحج اجتهاد مضبوط بالضبط الشرعي والمنهجي العلمي الصحيح

الأزمة وآثارهـــا»، مؤكداً أن النظـــرة لهذا المؤتمر تنطلق من الوعي بـــأنّ هناك جهة ينبغي ألا تَغفُل أو تُغفِل ما يجري، وهي جهة الفقه الذي هو عبارة عن صنوف وقوانين وفلسفة وروحانيات.

وتابع معالي العلاّمة بن بيّه: «والواقع أنكم أيها العلماء في مؤسسات الفتوى الرسمية وفي مساجدكم ومدارســـكم قد تصديتم للنّوازلِ المســـتجدة التي فرضها الواقـــعُ الجديد بآليات الفتـــوى المقرّرة والمناهج المُتّبَعَة، وبما يوافق الســـياقات المحلّية»، منوهاً إلى أن رابطة العالم الإســـلامي بقيادة معالي الشـــيخ الدكتور محمد بن عبـــد الكريم العيسى كان لها قصب الســـبق في كلّ عمل توحيدي وجهد تجديدي، فلم يـــألُ معاليه جهداً أو يدخر طاقة في جمع طاقات الأمّة العلمية ودعوة قادة الرأي والفكر فيها لتعميق الأخوة وتوثيق الصلة لما فيه نفع الأمة الإسلامية والبشرية.

وأضـــاف: «على هذا النّحـــو كان لنا في مجلس الإمارات للإفتـــاء الشرعي جهد في إصدار مجموعة من الفتاوى والبيانـــات لتوضيح الموقف الشرعيّ من عدد من القضايا العملية والعقدية الأساســـية، كما اضطلع المجلس بـــدوره التوجيهي في مواكبة السياســـة العامة لدولة الإمارات العربية المتحدة ورؤيتها العملية الرائدة في التصدي للأزمة.

وأشـــاد العلاّمة بن بيّه، بمـــا قامت به حكومة المملكة العربية الســـعودية المخولة شرعاً ووضعاً برعايـــة الحرمين الشريفين وأقـــدس مكانين، من تدابير جنبت الكوارث ورعـــت الحرمة في مواجهة الأزمة وأدت الأمانة، مشدداً على أنه من اللازم التقيّد والالتزام بما تتخذه حكومة خادم الحرمين الشريفين انطلاقا من مسؤوليتها السيادية والشرعية في رعاية الحجاج والمعتمرين والزوار وإعانة لها في الحفاظ على صحة الجميع وسلامتهم.

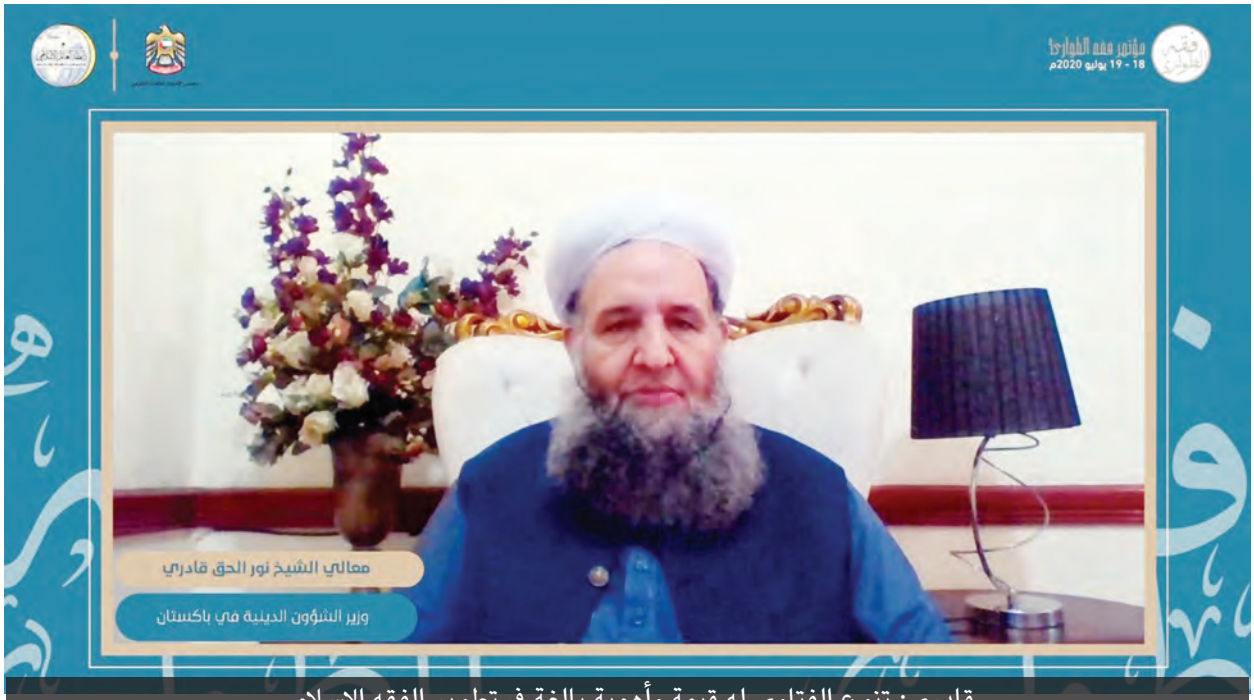

قادري: تنوع الفتاوى له قيمة وأهمية بالغة في تطوير الفقه الإسلامي

وبين فضيلته: «إن القرار الذي صدر بتخصيص الحج هذه السنة لحجاج الداخل وتقليص أعداد الحجاج يعود لمصلحة المسلمين لما قد يواجهونه من خطر تفشي المرض بينهم في ظل استمرار جائحة كورونا. فهو اجتهاد مصلحي صادرٌ من أهله وواقع في محلّه، اجتهاد مضبوط بالضبط الشرعي والمنهجي العلمي الصحيح».

وتابع قائلاً: «كما تميّزت رؤية دولتنا الإمارات العربية المتحدة في مواجهة هذه الأزمة بالاستشراف في التخطيط والحزم عند التطبيق، وهي رؤية تقوم على قيمة الكرامة والكرم الإنسانيين، حيث أعلت من شأن حياة الإنسان، وصحته وراحته، ولم تألُ جهدًا أو تدَّخر مالا في سبيل ذلك. كما تقوم هذه الرؤية على قيمة الابتكار فشاركت الإمارات العالم في تطوير العلاجات المتطورة والاستفادة من ثمرات العقول وأحدث الكشوف، فأفادت المواطنين والمقيمين من أكثر العلاجات تقدماً وأكثر الفحوصات تطوراً».

بعدها ألقى معالي الشيخ نور الحق قادري وزير الشؤون الدينية في جمهورية باكستان الإسلامية كلمة تطرق فيها إلى تداعيات فيروس كورونا على العالم أجمع.

وقال: «إن المسلمين في العالم الإسلامي وفي غيره لا يقدمون على عمل إلا بناء على فتوى العلماء والفقهاء، ومنذ تفشي هذا الفيروس في العالم تصدت مراكز الفتاوى والمجامع الفقهية والفقهاء الكبار لبيان الأحكام الشرعية للمسائل المستجدة المختلفة حول جائحة كورونا. وهذه الفتاوى كما صدرت عن مؤسسات رسمية مكلفة بالإفتاء من قبل الإدارة الحكومية كذلك صدرت عن مفتين مستقلين لهم أتباعهم، أو عن أحزاب وجمعيات دينية إسلامية أخذت على عاتقها الإفتاء لجمهورها. فتنوعت هذه الفتاوى بتنوع المذاهب الإسلامية واختلاف الاجتهاد وأصوله داخل هذه المذاهب المختلفة، ولكن لجميعها قيمة وأهمية بالغة في تطوير الفقه الإسلامي».

جمعة: نحتاج إلى الفهم الصحيح للنص من خلال القواعد العلمية والمنطقية

وأضاف: «إن الأمر الجميل الذي شـــاهدناه هو التزام غالب المســـلمين بالأوامر، فقد أدركوا أن من أصدر الفتوى بالمنع عن شيء ما أراد بالمسلمين إلا خيرًا».

من جهتـــه أكد معالي الأســـتاذ الدكتور محمد مختار جمعـــة وزير الأوقـــاف بجمهورية مصر العربية، أن فقه التعامل مـــع جائحة كورونا بيّن مدى الحاجة الملحة إلى الخروج من الآفاق الضيقة التي تمثلت عند بعض المحســـوبين على الخطاب الديني في حفظ أحكام بعض المســـائل دون النظر بعين الاعتبار في فقه المقاصد، وفقه المآلات، ومراعاة ظروف الزمان والمكان وأحوال الناس ومستجدات العصر وطوارئه.

وقال: «لقد أصبحنا أكثر من أي وقت مضى في أمس الحاجة إلى إعمال العقل في فهم صحيح النص من خلال القواعـــد العلمية والمنطقية لفهمه، والانتقال من مناهج الحفظ والتلقين إلى مناهج الفهم والتحليل، في مناهجنا وبرامجنا وكتاباتنا العلمية وأحاديثنا الإعلامية»، مؤكداً في الوقت نفســـه أنه «لا غنى عـــن العودة إلى جذورنا العلمية في القواعد الفقهية والأصولية والاستفادة من العلوم العصرية على حدٍ سواء، مع التأكيد على أن العلم النافع هو مطلق العلم الذي ينفع الناس في شؤون دينهم ودنياهم، وأن أهل الذكر في كل علم وفن هم أهل الاختصاص فيه».

بعد ذلك بدأت جلســـات المؤتمر في يومه الأول بمناقشـــة موضوع «تأصيل فقـــه الطوارئ» في الجلســـة الأولى، وموضـــوع مجـــال العبادات في الجلستين الثانية والثالثة، وموضوع «جهود مميزة للدول الإسلامية في التعامل مع جائحة كورونا» في الجلسة الرابعة.

مقتطفات من كلمة معالي الدكتور

محمد بن عبدالكريم العيسى

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

- سعدنا وإخواننا في مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي بإقامة هذا المؤتمر العالمي، بمشاركةِ كبار علماء الأمة الإسلامية؛ ممثلين لشخصياتهم وهيئاتهم العلمية.

- جائحة كورونا، مع كَبَدِ معاناتها، عادت بمنافع للناس ... فتحت لهم آفاقاً وتدابيرَ لم تخطر لهم على بال.

- نشأ عن هذه الجائحة مسائل ملحة في العبادات والأحوال الشخصية والمعاملات حتمت على حملة الشريعة التصدي لها في ملتقى استثنائي جمع الهيئات العلمية والمجامع الفقهية وكبار علماء الأمة؛ لئلا تظل عالقة في تيه السؤال وحيرة الجواب.

- لإن سعِد الجميع باتفاق كلمة العلماء تحت مظلة هيئات ومجامعَ علميةٍ (كلٌّ في فجِّه العميق)، فإنا سعادتنا لا توصف وقد انعقدت عزيمتها لتلتقي هنا على كلمة سواء في مسائلَ ذاتِ شؤونٍ وشجون.

مقتطفات من كلمة معالي الشيخ

نهيان بن مبارك آل نهيان

وزير التسامح والتعايش الإماراتي

- يمثل هذا المؤتمر المهم حرصاً كبيراً على تأكيد دور الشريعة الإسلامية، كمحرك للنظام الاجتماعي العام، باعتبارها حصناً للسلامة والأمان في المجتمع.

- تسعد دولة الإمارات العربية المتحدة كثيراً بالإسهام في تحقيق الترابط والتواصل الفكري والحقيقي، بينكم، أنتم علماء الأمة الإسلامية، وبين جمهرة المسلمين في كل مكان.

- التأكيد على دور علماء الأمة في تعبئة جهود المجتمع في مواجهة الطوارئ والأزمات.

- التركيز على ضرورة أن يكون المنهج العلمي والتقدم الإنساني أسلوباً أساسياً، لمواجهة هذا الوباء.

- يعد اجتماع العلماء في هذا المؤتمر دعوة مهمة إلى التعاون الإقليمي والعالمي، من أجل التغلب على المشكلات، والحفاظ على الصحة العامة في كل مكان.

مقتطفات من كلمة العلامة الشيخ

عبدالله بن المحفوظ بن بيه

رئيس مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي

- أصابت هذه الأزمة عالمنا المعولم في أخص خصائصه وأبرز مميزاته، وألزمت الناس مساكنهم، وأغلقت مرافقهم، فمست كل أرض وأصابت كل قطر.
- المعلوم من أمر هذا الوباء نزر بالمقارنة بالمجهول، والمكتشف يسير باعتبار ما تبقى اكتشافه.
- التعامل مع الطوارئ ركن أصيل من أركان كل منظومة تشريعية، ولشريعتنا في هذا المضمار فضل عناية ومزيد اهتمام.
- من اللازم التقيد بما تتخذه حكومة خادم الحرمين الشريفين انطلاقا من مسؤوليتها السيادية والشرعية في رعاية الحجاج والزوار والمعتمرين، وإعانة لها في الحفاظ على صحة الجميع.
- القرار الذي صدر بتخصيص حج هذه السنة لحجاج الداخل وتقليص أعداد الحجاج يعود لمصلحة المسلمين، فهو اجتهاد مصلحي صادرٌ من أهله وواقعٌ في محله.

مقتطفات من كلمة معالي الشيخ

نور الحق قادري

وزير الشؤون الدينية بجمهورية باكستان الإسلامية

- فيروس كورونا أهم نازحة تمر بها الإنسانية، فقد أفزع العالم مسلما وغير مسلم.
- منذ تفشي هذا الفيروس في العالم تصدت مراكز الفتاوى والمجامع الفقهية وكبار الفقهاء للمسائل المستجدة المختلفة حول جائحه كورونا، فتنوعت الفتاوى بتنوع المذاهب الإسلامية واختلاف الاجتهاد وأصوله داخل هذه المذاهب المختلفة.
- معظم الفقهاء المعاصرين من غالب المجامع الفقهية وهيئات الفتوى رأوا جواز تعطيل المساجد في الجمع والجماعات اعتمادا على قواعد مقاصد الشريعة.
- أوجبت الشريعة الإسلامية إنقاذ الأرواح والأنفس من الهلاك، وجعلت إنقاذ النفس حقا لكل فرد بالوقاية من الأمراض والأسقام قبل حدوثها، وبالتداوي بعد حدوثها، وإقامة الجماعة في المسجد من تكميلي ضروري للدين فيقدم ضروري النفس على تكميلي الدين.
- المسائل الفقهية قديما وحديثا يتأتى فيها الاختلاف ولا يقدح ذلك في جهود الفقهاء، بل يتسع المجال للأمة فيكون رحمة واسعة.

مقتطفات من كلمة الدكتور

محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف المصري

- بيَّن فقه التعامل مع جائحة كورونا مدى الحاجة الملحة إلى الخروج من الآفاق الضيقة، والنظر في فقه المقاصد وفقه المآلات.
- أصبحت الأمة أكثر من أي وقت مضى في أمس الحاجة إلى إعمال العقل في فهم صحيح النص من خلال القواعد العلمية والمنطقية لتفهمه.
- لا غنى عن العودة إلى جذورنا العلمية في القواعد الفقهية والأصولية والاستفادة من العلوم العصرية على حد سواء.
- إن أهل الذكر في كل علم وفن هم أهل الاختصاص فيه، فليس علم الفقه بديلًا لعلم الطب وليس العكس.
- نحن في حاجة إلى الفقه والطب ليتكاملا، وإلى الدواء والدعاء معا.

مقتطفات من كلمة العلامة الشيخ

عبدالله بن المحفوظ بن بيه

رئيس مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي

- فقه الطوارئ؛ فقه يبحث عن اليسر في مواطن العسر وعن السهولة في مواقع الوعورة، وعن الرخص لقيام موجبها بدل العزائم.
- أوضحت هذه الجائحة أن ساكنة هذا الكوكب محكومة بمسار واحد، ومحكوم عليها بمصائر مشتركة؛ لذا من الضرورة التضامن والتعاون لمواجهة خطر لا يميز أحدًا عن أحد، ولا طبقة عن أخرى، أو يتنكب أرضًا دون أخرى.
- التعامل مع الطوارئ ركن أصيل من أركان كلّ منظومة تشريعية، ولشريعتنا الإسلامية في هذا المضمار فضل عناية ومزيد اهتمام، وذلك بوصفها المنظومة التعبديّة والقانونيّة التي تحكم النسق السلوكي والمعياري في حياة الفرد والجماعة.
- الطوارئ لها آثار تعم الكليات الخمس؛ الدين والنفس والعقل والنسب والمال، لهذا نتغيا التباحث في توضيح هذه الآثار.
- أثارت الأزمة فيما يتعلق بالاعتقاد مسألة الخير والشر، والقضاء والقدر، ودائرة المقادير الكبرى التي تتسع لمجال أرحب من دائرة فعل الإنسان واختياره وربما أبعد من فهمه وأحيانًا من تفهُّمه.

مقتطفات من كلمة معالي الدكتور

عبد السلام العبادي

الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي

- تأسيسًا على القواعد الشرعية فإن حصول السبب القاهر يؤدي إلى فسخ العقود كما هو معلوم لدى الفقهاء، وهذا مما يميز الفقه الإسلامي عن منظومة التشريعات الوضعية.

- تجدر الإشارة إلى التوصيات الصادرة من مجمع الفقه الدولي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي في ندوة «فيروس كورونا المستجد وما يتعلق به من معالجات طبية وأحكام شرعية»، وكذا ننوِّه إلى قرارات صادرة من المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بهذا الشأن.

- الطوارئ التي تبدل الظروف مثل تقلبات الأسعار والتضخم ونحوها، تجعل من الالتزام بالعقد أمرًا مستحيلاً، فإنه يحق للمتعاقد التحلل من عقده لعدم الحصول على المنفعة المتعاقد عليها، وذلك ما تقتضيه قواعد العدالة.

مقتطفات من كلمة الشيخ

محمد المختار ولد إمباله

رئيس المجلس الأعلى للإفتاء والمظالم في موريتانيا سابقا

- واجب العلماء السعي لإيجاد الحلول للمسائل والأحكام الشرعية التي خلفتها هذه الجائحة، ومن ذلك أحكام الصلاة.

- منهج الإسلام في العدوى والمخالطة أنه لا ضار ولا نافع إلا الله تعالى، والأخذ بالأسباب عبادة، والتفريط فيها معصية، والاعتماد عليها شرك.

- فقه الطوارئ فقه استثنائي نابع من رحم الشريعة الإسلامية وله مكان في الفقه الإسلامي، وله أصوله في الشريعة الإسلامية.

- نصوص الشريعة مليئة بالعديد من المواقف والأحداث التي تبين كيفية التعامل مع الطوارئ والنوازل الشرعية، بما يدل دلالة واضحة على أنها خاضعة للاجتهاد.

- من مبادئ هذه الشريعة وقواعدها أن الإمكان شرط في التكليف، وأن الحرج مرفوع عن هذه الأمة، وأن المشقة تجلب التيسير، وأن الأعذار تستجلب الرخص.

مقتطفات من كلمة الدكتور

العياشي فداد

كبير الباحثين في البنك الإسلامي للتنمية

- اختلف العلماء في حكم تعجيل الزكاة إذا بلغ النصاب على قولين: فذهب الجمهور إلى جواز تعجيل الزكاة ودفعها إلى مستحقيها وعمدة دليلهم: تعجل النبي صلى الله عليه وسلم من العباس وأخذ زكاته لسنتين مقدمًا.

- ذهب المالكية إلى عدم جواز تعجيل إخراج الزكاة إلا إذا قرب الحول أو لزمن يسير، والراجح قول الجمهور، وخصوصًا بسبب هذه الجائحة التي تمر بها الأمة، ووجود حاجة ماسة للإنفاق على المستحقين للزكاة.

- اختلف الجمهور في المدة الزمنية التي تعجل فيها الزكاة، فذهب الحنفية إلى جواز تعجيلها لسنتين فأكثر، وذهب الشافعية إلى جواز تأجيلها لسنة.

مقتطفات من كلمة الدكتور

أحمد الحـــداد

عضو مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي

- التقارب في الصفوف أثناء الصلاة سنة، والحفاظ على النفس واجب، فيقدم الواجب على السنة.
- لا يجوز الاقتداء بأئمة المساجد البعيدة عبر أجهزة النقل المباشر المسموعة منها والمرئية.
- الواجب اتباع الإرشادات الصحية التي تقي من انتشار الفيروس وحصول العدوى من تباعد المصلين في الصف الواحد، وتباعد الصفوف.
- ليس التقارب في الصفوف شرطاً لصحة الصلاة، بل هو مندوب عند جمهور أهل العلم.
- يجب التعاطي مع هذه الجائحة الطارئة، خصوصًا فيما يتعلق بأحكام الصلاة بما تقتضيه مصلحة حفظ النفس من جهة، وما تقتضيه حكمة الشريعة ويسرها وسهولتها من جهة أخرى.

مقتطفات من كلمة الشيخ

أبوبكر ولد أحمد

وزير الشؤون الإسلامية الأسبق، ورئيس مجلس جائزة شنقيط في موريتانيا

- هناك قواعد فقهية تدور كلها على أحكام الضرورات التي تعني الطوارئ المستجدة، منها: المشقة تجلب التيسير، الأمر إذا ضاق اتسع، ما جاز بعذر بطل بزواله، فالعبرة بامتثال أمر الله والوقوف عند مراده، عزيمة كانت أو رخصة حسبما يقتضيه الحال.

- المصابون بمرض كورونا مرخص لهم الإفطار لكونهم مرضى؛ لما روي عن بعض السلف من أن مطلق المرض يبيح الفطر، ولما له من خطورة على الجميع بسبب سرعة انتشار عدواه على أصحاب الأمراض المزمنة والمتقدمين في السن.

- حكم الطواقم الطبية المرافقة للمصابين لا يخرج عن السياق العام الذي يتعلق بالرخص في حق المرضى، فالمحافظة على النفس واجبة في حقهم أيضًا حسب النظر الطبي، فقد يكون الفطر جائزاً في حقهم، وقد يكون واجباً على التفصيل الذي ذكره الفقهاء.

مقتطفات من كلمة الشيخ

مصطفى سيريتش

مفتي البوسنة الأسبق

- ابن سينا هو أول من توصل إلى طريقة عزل الناس لمدة ٤٠ يومًا، لمنع العدوى بين البشر، وأطلق على هذه الطريقة «الأربعينية»، ومن هنا جاءت كلمة كورنتينا.
- اتفق الفقهاء على جواز ترك الحج عند خوف الطريق، بل إن الاستطاعة لأداء الحج لن تتحقق مع عدم الأمن والأمان، فإن الأمراض الوبائية تعد من الأعذار المبيحة لترك الحج والعمرة بشرط أن يكون الخوف قائما على غلبة الظن لوجود المرض.
- الإسلام دين وقاية قبل العلاج؛ لأن الوقاية خير من العلاج، ولأن معرفة أسباب المرض وطرق انتشاره هي أساس الوقاية، وذلك ما ندركه من خلال المقاصد الشرعية.

مقتطفات من كلمة معالي الدكتور

فهد الماجد

الأمين العام لهيئة كبار العلماء

- رابطة العالم الإسلامي بمؤتمراتها وأطروحاتها تقوم بدور كبير في توعية المسلم بدينه الراسخ باعتداله وقيمه، وكذلك توعية الإنسان في عموم الأرض بحقائق هذا الدين الذي هو رحمة للعالمين.
- تعقد رابطة العالم الإسلامي بمشاركة مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي هذا المؤتمر «فقه الطوارئ» ليقدّم إسهام الفقه الإسلامي في معالجة مسائل وقضايا تواجه المسلمين في ظل «جائحة كورونا المستجد»، ومن خلال ذلك يتبين أن الإسلام قائم على مقاصد وأصول عظيمة تحفظ النفس البشرية، وتحافظ على نظام البشر.
- الفقه الإسلامي يبحث عن مصالح الخلق، ومقاصد الإنصاف والعدالة، وما نحن بصدده في هذه الجائحة فإن لدى الفقه الإسلامي حلوله لمعالجة كثير من المشكلات الناتجة عنها، وردّها إلى مبادئ المصلحة والعدل.

مقتطفات من كلمة معالي الدكتور

حمدان مسلم المزروعي

رئيس مجلس إدارة هيئة الهلال الأحمر الإماراتي

- نعيش في هذه الأيام ظروفا استثنائية، وضّحت لنا ضعف الإنسان، كما قال تعالى: «وخلق الإنسان ضعيفا»، وكان لا بد لهذا الإنسان أن يفهم أنه لا سعادة له ولا نجاح إلا بأن يعود إلى الله تعالى ويقوم بما أراده الله منه.
- برزت لنا في هذه الأيام قيم التكامل والتكافل والتضامن والإنسانية، وأبانت هذه الجائحة المسؤولية الإنسانية، كما أبانت ضرورة اللجوء إلى الله في السراء والضراء، وأن نتعاون جميعا لنتغلب على كل ما يصيب الإنسان من خطر.
- حققت دولة الإمارات العربية إنجازات كبيرة، في المجال التعليمي، والصحي والاقتصادي، واستعانت في تحقيق ذلك بالمؤسسات العلمية والخبراء ولم تتعطل تلك الإنجازات حتى في عهد هذه الجائحة، فكانت خير مثال للعالم في ذلك كله.
- في المجال الصحي كانت هناك جهود كبيرة تتمثل في إقامة مراكز صحية وتعقيم الشوارع وغير ذلك من الجهود التي تصب في مجال الصحة من الفحص الطبي مجانا، وقيام عدد كبير من المتطوعين في هذا المجال.

مقتطفات من كلمة الدكتور

عبدالحق الكواني

عضو الهيئة العلمية للمجلس الأعلى للمسلمين - ألمانيا

- بنت الشريعة أحكام المعاملات المالية والعقود على مبادئ كبرى، من أهمها: اللزوم والعدل وعدم أكل أموال الناس بالباطل.
- التراث الفقهي غني بتناول الظروف القاهرة من جوائح وآثار وأضرار.
- عالج الفقه الإسلامي المعاصر آثار الجوائح على العقود المالية عبر التأصيل لعدد من النظريات والمعايير من خلال النصوص الشرعية والمقاصد الكلية المرعية والقواعد الفقهية والتخريج على أحكام المذاهب الفقهية الفرعية.
- تتلخص الأحكام الشرعية لتفعيل النظريات الفقهية حسب طبيعة العقد وظروف المتعاقدين في الحكم بفسخ العقد، أو الالتزام المرهق إلى الحد المعقول.
- الشريعة الإسلامية السمحاء رفعت الضرر والحرج، وأمرت باليسر لا العسر، والعدل ورفع الظلم.
- أمام هذا الظرف الطارئ نجد أن المتوافق مع أحكام الشريعة أن يعمل على تقليل الضرر والخسارة ودرء شرهما الكلي ما أمكن.
- من نتائج الجائحة أن خلفت تساؤلات معقدة لا يخلو جوابها من تراكيب تراعي السياق والمآل والاتساق مع الجوانب القانونية والاقتصادية.
- لا بد أن تجتهد الدول والمؤسسات وأهل الإحسان والمنظمات للتعويض عن الأضرار التي حدثت، والتي لا تزال تحدث.

مقتطفات من كلمة فضيلة المستشار الدكتور

إبراهيم عبيد آل علي

عضو مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي

- الجائحة خلفت خللاً كبيراً في التزامات الأطراف بالعقود، وستنتج عنها قضايا كثيرة سيتم رفعها حول العالم.
- الفقه الإسلامي يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة، والإمارات أصدرت حزمة من التشريعات، منها قانون المعاملات المدنية الذي يرتبط بالفقه وأصوله.
- لا شك أن تطبيق الشريعة على المعاملات المدنية سيؤدي إلى استقرار المعاملات وتقليل المنازعات.
- مما يثير الإعجاب أنه كل ما خاض الباحث في أعمال الشريعة يظهر له أن أحدث النظريات الغربية لها أصلٌ في الفقه الإسلامي.
- الإغلاق العام الذي نتج عن الجائحة يعتبر دفعًا مناسبًا للشركات والمؤسسات لتبرير عدم التزامها أمام المتعاقدين.
- آثار فيروس كورونا المباشرة ستثير الكثير من النقاش أمام القضاء نظراً لتوقف الكثير من المتعاقدين عن الوفاء بالتزاماتهم.

مقتطفات من كلمة الشيخ

أبو بكر إمام

القاضي بمحكمة الاستئناف الشرعية في تيجيريا

- النصوص مع مرونتها وشمولها محدودة ومتناهية، والنوازل والحاجة إلى الحكم فيها غير متناهية، وهذا يضع عبئاً وثقلاً على العلماء في كل زمان، ويدعوهم إلى بذل الجهد للوصول إلى حكم الشرع في هذه المستجدات.
- ينبغي لأهل العلم الشرعي والفقهاء استشارة أهل الاختصاص من الأطباء والخبراء، والتأهب للبحث وإعمال القواعد الفقهية للتوصل إلى حلول فقهية تساعد على إنهاء الأوبئة، أو على الأقل منعها من الانتشار وإهلاك بني البشر.
- سلامة الأصحاء من الوباء القاتل فرضٌ، ولا بد من تقديم الفرض على السنة على القول بأن غسل الميت سنة.
- ينبغي لأهل الأموات من جراء فيروس كورونا الإصغاء لكيفية التعامل مع المتوفين من هذا الوباء من تسليم الحالات لأهل الاختصاص من الأطباء والخبراء والمتلقين للتدريبات منهم؛ ليتخذوا التدابير اللازمة للسلامة والوقاية والحيطة الكافية.
- لا يجوز لأهل الميت من فيروس كورونا تغسيله من دون الرجوع لأهل الاختصاص من الأطباء والخبراء ومن في حكمهم، ويجوز دفنه دون تغسيله إذا وجدت الضرورة القصوى، وتفادياً لانتقال العدوى

مقتطفات من كلمة الدكتور

حمزة يوسف

عضو مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي

- البحوث الفقهية في مجال اللقاحات العلاجية قليلة ونادرة.
- المسلمون هم أول من استخدموا لفظة التلقيح، وهم أول من استخدموا اللقاحات، وقبلهم الهنود والصينيون، والغربيون أخذوها عن المسلمين.
- من المتيقن أن اللقاحات قضت وخففت كثيرًا من آثار الأمراض المعدية الخطيرة سابقاً، وحدّت من انتشارها، ومن أهمها الحصباء.
- ضرورة حث وزارات الصحة في العالم على التزام الشعوب الحمية الصحيحة التي تقوي المناعة الذاتية، وتقضي على أغلب الميكروبات.
- اللقاحات ضد الكورونا في مراحل التجربة كثيرة، والكثيرون متخوفون من كثرتها ومخاطرها وآثارها الجانبية ولو بعد فترات طويلة.
- دفع الضرر من أهم مقاصد الشرع، واستعمال اللقاحات من باب دفع الضرر، أما مسألة إجبار الحاكم للرعية على اللقاحات، وهل للإنسان أن يرفض ذلك، أو لا، فهو عائد إلى تفريعات كثيرة، كالضرر لا يزال بالضرر، وارتكاب أخف الضررين وغيرها.
- المناعة الطبيعية التي منحها الله للإنسان قوية جدًا، وهي تدفع عنه أغلب الأمراض ولو بعد حين، فلا بد من الحماية والوقاية معًا.
- أهمية الرياضة والحركة والتوازن في الأكل وأثره في الحماية وتقوية المناعة.
- ضرورة وعي الناس وتنبيههم من أفعال البشر والبعد عن المعاصي والمنكرات والفواحش.

مقتطفات من كلمة الدكتور

عبدالحميد عشاق

المنسق العام لموسوعة السلم في الإسلام

- هل يجوز لمن أصيب بالوباء أو أي عاهة معدية أن يخالط الأصحاء، فيه قولان: التحريم، وهو قول جمهور العلماء، وعليه عمل الصحابة في قصة رجوع عمر رضي الله عنه عن دخول الشام، والكراهة، وهو قول بعض أهل العلم.
- أجمع الصحابة في قصة طاعون عمواس على منع مخالطة المصح للممرض والعكس، وهذا الإجماع يعتبر من أقوى الإجماعات في تاريخ الفقه، كما قال ابن رشد الكبير، وفيه النهي عن استقبال البلاء، فإنه تهور وإقدام على الخطر، والعقل يمنعه.
- الأدلة الشرعية تقرر الاحتراز من المرض العام، ومحاصرة أسباب انتشاره، سواء من خلال الحجر الصحي، أو ما كان يسمى قديما بالكرنتينة، وتفيد بأن حفظ كلي النفس مقدم على أي جزئي من جزئيات الدين.
- بما أن فيروس كورونا سريع التنقل، ويزهق الأرواح أحيانا، وعلاجه مكلف جدا للمجتمع، ويسبب أضراراً عضوية، وأزمات نفسية واجتماعية واقتصادية؛ فإنه يحرم شرعاً على المصاب به أن يخالط الأصحاء لاعتبارات كثيرة.
- القواعد الفقهية والنصوص الشرعية متضافرة على دفع الأذى وإزالة الضرر، وهذه العلة متحققة في فيروس كورونا قطعاً، فيحرم مخالطة المصاب لغيره درءًا للمفاسد الكثيرة الوجودية التي تتعلق بالأمة كلها.
- لا يمكن للفقيه أن يتجاهل المعطيات الطبية عند تقرير الحكم، وإلا تناقضت قطعيات الدين مع يقينيات العلم، وهذا مخالف للقواعد والأصول الشرعية التي تستدعي التثبت في عملية تحقيق المناط قبل بناء الحكم.
- ما يصدر عن الحكومات والجهات الرسمية من قوانين وتدابير وإجراءات للحد من انتشار الوباء لحماية الصحة العامة أمرٌ مشروعٌ من باب تصرف الأمة في الأمة، ومنوطٌ بالمصلحة، ولا شك أن العمل على تقليل الإصابات من هذا الوباء هو مقتضى المصلحة الكلية، والضرورة الشرعية.
- إذا ثبت أن حامل الفيروس خالف وخالط وارتكب جناية، فهل عليه الضمان أو لا؟
- المخالطة في جميع الأحوال ممنوعة، ولها صور شتى؛ إذ يحتمل أن يكون المخالط عالماً بالمرض، وقد يكون جاهلاً به، كما يحتمل أن يكون متعمداً نقل العدوى عن طريق المخالطة، وقد يكون غير عامد، ثم قد يقصد بالجناية شخصاً معيناً، أو جماعةً معيّنة، فالحكم يختلف باختلاف هذه الصور، ولا تكون المخالطة جناية موجبة للضمان في جميع الحالات.

مقتطفات من كلمة الدكتور

محمد غزالي بن عمر جكني

مفتي غينيا

- في ضوء السلبيات التي أحدثتها جائحة كورونا على النفس والمادة على الصعيد الفردي والمجتمعات نرى ضرورة الالتزام بالحجر الصحي؛ لأنه يتفق مع القواعد الكلية التي تعتبر من أهم الضرورات الخمس التي يسعى الإسلام إلى حفظها، وعدم تعريضها للخطر، كما يتفق مع قاعدة درء المفاسد والحفاظ على جلب المصالح.
- ينبغي لمن تأكدت إصابته بفيروس كورونا الابتعاد عن التجمعات البشرية، وعدم حضور الجمعة والجماعات؛ لحديث «لا يورد ممرض على مصح»، وحديث «فر من المجذوم فرارك من الأسد».
- ينبغي للإنسان الصحيح عدم الحضور إلى المدينة التي انتشر فيها المرض؛ لحديث «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه».
- إن النفس البشرية هي إحدى الضرورات الخمس التي أجمعت الشرائع الإلهية على وجوب حفظها، ولهذا تضافرت نصوص الشريعة الإسلامية ومقاصدها، وقواعدها على وجوب صيانتها، ورفع الحرج عنها، وعدم تعريضها للهلاك.
- إن مما اهتم به الإسلام الأسرة، فقد وردت آيات تقيم صلبها، وتعالج مشاكلها، لم جاءت السنة النبوية المطهرة فأتمت الأمر وأوضحته جليا، وكانت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم خير مثال على حسن رعاية الأسرة والحفاظ عليها والقيام بحقوقها.
- إن تطبيق الآداب الشرعية يزيل كل لبس، ويحل كل إشكال، خاصة في الأزمات التي تتأثر بها النفوس، ويعرف المسلم خلافات ونزاعات تقع بين الأفراد والجماعات.
- الدعاء والذكر والرجاء من مفاتيح الرحمة الإلهية، والعناية الربانية، ووسائل للتقرب إلى الله تعالى، وإعانة للنفوس البشرية على الخلاص من محن الحياة وآلامها ومتاعبها، ووقاية من أنواع البلاء، وتغيير المصير المحتوم للقضاء والقدر.
- ينبغي لرب الأسرة في ظل الجائحة التعاون مع أفراد الأسرة وتفادي الخلافات الأسرية الناتجة عن جائحة كورونا النفسية والمادية.
- على الجهات الشرعية والمؤسسات العلمية مضاعفة الجهود البحثية لإيجاد مزيد من الحلول لقضايا فقه الطوارئ؛ لأنه ما من نازلة إلا ولها حكم شرعي.

مقتطفات من كلمة الدكتورة

أماني لوبيس

عضو مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي، رئيسة جامعة شريف هداية الله الإندونيسية

- ينبغي أن نتكيف مع المستجدات والتغيرات التي حدثت في زمن كورونا (كوفيد ١٩)، فقد تعلمنا من هذه الجائحة أشياء كثيرة، منها أن لكل مصيبة جوانب مضيئة، ووراء كل محنة منحة ربانية، كما كشفت لنا عن معادن الناس، فهناك من يبني ومن يهدم، ومن يتوكل ويتواكل، والمتشائم والمتفائل.
- علمتنا هذه الجائحة أهمية العمل في هذه الأزمنة، وعوّدت الناس حفظ الأذكار والمواظبة عليها، وأحيت الإيمان بالله مجددا في قلوب كثير من الناس، وجعلتنا نعيد النظر في فقه الأسرة، وفقه العلاقات بين الأشخاص وندخلها ضمن فقه الطوارئ وفقه الضروريات في زمن ما بعد كورونا.
- من فتاوى فقه الطوارئ ينبغي الامتناع عن زيارة الوالدين المرضى بكورونا حفاظا على صحتهما، والتواصل معهما عن طريق الهواتف الذكية وغيرها حتى تزول هذه الجائحة وتعود الأمور إلى طبيعتها.
- يعتبر الأمن الأسري مقصدا من مقاصد الشريعة الإسلامية، وغاية من غاياته؛ لقوله تعالى: «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها»، والسكن هو سكون الزوج للزوجة، فهو الذي يمنح أفراد الأسرة الأمان، ويشعرهم بالمودة والاطمئنان، ويحمي الأبناء من الانحراف.
- لا بد من جهود كبيرة ومبتكرة لتوثيق عرى العلاقات والمحبة بين أفراد الأسرة، ومناقشة القضايا المهمة، والاهتمام بالأطفال وذوي الاحتياجات الخاصة.
- العلاقات بين الأشخاص ينبغي أن تبنى على أسس العدل، وهي كائن حيّ ينمو ويموت، فلا بد من توعية الناس لتقوية أواصرها.
- من واجب كل الجهات المسؤولة أن تتعاون على حل المشكلات الأساسية والمادية والنفسية في المجتمع، والتي كشفتها جائحة كورونا.
- الحياة الدينية مهمة جدا بين المجتمع، ولا يتم ذلك إلا بوجود الأمن والأمان والسلام إلى جانب العدالة الاجتماعية، وتوعية الشعوب، والاستفادة في ذلك من العلوم والتكنولوجية المعاصرة، وتوعية الناس بحب الوطن والتضحية في العمل الاجتماعي.

مقتطفات من كلمة الدكتور

رضوان السيد

الجامعة اللبنانية - أستاذ الدراسات الإسلامية في لبنان

- الديانة الفارسية حلت مشكلة الشر بالإيمان بإلهين: أحدهما خالق للخير، وآخر خالق للشر، وتلحق بها فرقة المانوية المسيحية في القرنين الثالث والرابع الميلاديين.
- اللاهوتيون المسيحيون قالوا: الله ليس بخالق للشر إلا أن يعني سماحه للشر بالوجود.
- المعتزلة من المسلمين لم يجدوا حلا للشر الطبيعي (الكوارث)، وحلوا مشكلة الشر الإنساني بأنه بسبب حرية الإنسان، وأن الله لم يقدره على البشر.
- وقعت طواعين في زمن الخلافة الراشدة، ومن أهمها طاعون عمواس، والذي أفرز ثلاثة مواقف: الأول: القادة العسكريون الذين رأوا الصبر على بلاء الطاعون، وعدم الاعتراف بحقيقة العدوى، وماتوا فيه شهداء، والثاني: الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رأى أن الصحيح هو موقف الفرار من الطاعون لمن هو خارج عن محله، والثالث: موقف عمرو بن العاص، فقد أكد أن الطاعون ليس بسبب الجن، بل هو لرطوبة الهواء، وذهب بجيشه إلى الجبال فسلموا من غوائله.
- في طاعون الجارف جرت محاجة بين الصحابيين الجليلين ابن مسعود وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، ففي حين رفض ابن مسعود مبدأ الفرار، قال الأشعري: نفر من قدر الله إلى قدر الله.
- الموقف في الجملة، الإيمان بحقيقة العدوى، ولزوم التداوي، وأن الشفاء من الله تعالى، وأن هذه الجوائح هي من قدر الله الغالب، ولا تخلو من مظاهر رحمة.

مقتطفات من كلمة الدكتور

هشام قريشة

رئيس جامعة الزيتونة - تونس

- دار السجال العقدي عند المسلمين حول معادلة قدر الابتلاء ومسألة التوقي والأخذ بالأسباب.
- الخصومة بين من يرى جريان القدر لا يوقفه احتياط، إعمالا لحديث: «لا يغني حذر من قدر»، وهو فهم مرجوح؛ لأن سياق الحديث ذكر الأمر بالفرار من المجذوم، مما يعني إثباتا للعدوى وتطلبا لوسائل السلامة منها.
- طائفة الطبانعيين لا تؤمن بالغيبيات الدينية، وترى فيها استسلاما للقدر.
- كلا الطائفتين ملكت نصف الحقيقة (القائلون لا فائدة من الاحتياط، والطبانعيون).
- محققو الإسلام كالإمام المازري أكدوا على توازي جملة من القضايا: التسليم بالقدر لا يمنع من الحذر، والإيمان بالقدر لا يعني الاستسلام له، بل يتطلب البحث عن الدواء والتوقي منه، فما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء.
- حديث «لا عدوى» ينفي كون العدوى تحصل بسببها وبفعل ذاتها، ويربطها بإذن الله وقدرته.
- وأوردوا أدلة لذلك من السنة المطهرة، ومن تطبيقات الصحابة الكرام زمن الطواعين.

في البيان الختامي لمؤتمر «فقه الطوارئ»:

جرى تقليص أعداد الحجاج مراعاة للظرف الطارئ

مكة المكرمة:

اختتمـــت فعاليات المؤتمر العالمي «فقه الطوارئ.. معالم فقه ما بعد جائحة فيروس كورونا المســـتجد»، الذي انعقد ـ عبر الاتصال المرئي ـ بدعوة من رابطة العالم الإســـلامي وهيئة علماء المسلمين برئاسة معالي الشـــيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، ومجلس الإمارات للإفتاء الشرعي برئاسة معالي العلامة عبدالله بن الشيخ المحفوظ بن بيه، وبمشاركة نخبة متميزة من أصحاب المعالي والفضيلة والسعادة من علماء الشريعة؛ وخبراء الواقع، من مختلف دول العالم.

وأشـــاد المؤتمرون، في البيان الختامي، بالقرارات الرشيدة التي اتخذتها المملكة العربية السعودية في ما يتعلق بالعمرة والزيارة والصلوات في المســـجد الحرام والمســـجد النبوي، والإجراءات الاحترازية بتخصيص الحج هذه السنة لحجاج الداخل (٣٠٪ من السعوديين و٧٠٪ من المقيمين)، مؤكدين أن تقليص أعداد الحجاج وقاية لهم من خطر تفشي الوباء المطبوع بالاســـتمرار وعدم الاســـتقرار، وأنها إجراءات متوافقة مع أحكام الشريعة ومقاصدها باعتبار الظرف الطارئ الاستثنائي الذي أحدثته الجائحة، فهي اجتهادٌ مصلحيٌ صادرٌ من

التأكيد على ضرورة الالتزام بالقرارات التي تصدرها الجهات ذات الاختصاص الصحية والأمنية

المؤتمرون يطالبون بتفعيل دور المجامع الفقهية والمؤسسات الإفتائية بكفاءة عالية لمواجهة الأزمات

أهله وواقعٌ في محلّه، يقع به فرض الحج المطلوب شرعا ويسقط به الإثم عن الجميع، كُل ذلك في سياق ما بذلته المملكة العربية السعودية من جهود فائقة - داخلياً وعالمياً - لمواجهة هذه الجائحة، مُتوخية من إسهامها الدولي في ذلك الهدف الإنساني المجرد.

كما أشاد البيان الختامي بدور المملكة العربية السعودية الرائدِ في الإغاثة الدوليةِ المتعلقةِ بوباء فيروس كورونا المستجد لمكافحة هذه الآفة والتخفيفِ من آثارها، ممثلة في مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية، باذلةً المساعداتِ المالية والطبية والغذائية والمشورة التوعوية المتخصصة، والتي لم تفرق في وجهتها والمستفيدين منها بين جنس أو لون أو دين، امتثالا لتعاليم ديننا الحنيف الذي جاء رحمة للعالمين.

وأشاد العلماء والمشاركون بجهود دولة الإمارات العربية المتحدة في مواجهة هذه الأزمة جاعلةً من إغاثة الإنسان مهما يكن دينه أو لونه أو عرقه أو مكانه البوصلةَ والهدف الأسمى لجهودها.

وذكر المشاركون بالإشادة جهود رابطة العالم الإسلامي الإغاثية وما قدمته من مساعدات ودعم لجهات الاحتياج حول العالم للمساهمة في التصدي لجائحة كورونا والتخفيف من آثارها وتداعياتها الاقتصادية والصحية، التي استفاد منها الملايين في ٢٥ دولة، في إطار استجابتها للدور الإنساني الذي تقوم به في العالم دون تفريق بين لون أو عرق أو دين، إضافة إلى جهود الدول الإسلامية وغيرها والمنظمات الدولية كمنظمة التعاون الإسلامي التي قدمت مساعدات طبية وإنسانية للدول المحتاجة إلى مساعدة، ما خلف أثراً طيباً وسمعةً حسنةً، وخفف من آثار هذا الوباء في العالم أجمع، منوهين بتضحيات الطواقم الطبية وتفانيها في إنقاذ الأرواح وعلاج مرضى هذا الوباء والعناية بهم، وبجهود كل العاملين أفرادًا ومؤسسات في مكافحة هذه الآفة، مذكرين بعظم الأجر والثواب الموعود به كل من أحيا نفسًا وحافظ عليها.

وأوصى المشاركون في البيان الختامي بتكوين لجنة لحصر الأحكام والاجتهادات الفقهية القيمة الواردة في جلسات هذا المؤتمر، وإصدار مدونة بها، والتوصية ببث تسجيلات جلسات المؤتمر، وطبع بحوثه ومخرجاته ليعم النفع بمضامينها ومناهجها وأدلتها، وتصل إلى المجامع الفقهية والمؤسسات العلمية والباحثين الشرعيين والجهات ذات الصلة بالبحث الفقهي.

وأكدوا ضرورة تفعيل دور المجامع الفقهية والمؤسسات الإفتائية بكفاءة عالية ينشط فيه الفقه الشرعي والفقهاء لكي يواجهوا الحالات الطارئة والمستجدات المتكاثرة والمتتابعة، في عالم دائب التطوير والتغيير، مع متابعة البحث العلمي في فقه الطوارئ في مختلف مؤسسات ومنابر البحث العلمي من جامعات ومعاهد ومراكز ومجلات متخصصة وغيرها إسهاما من الفقه الإسلامي المعاصر في حل مشاكل المجتمع وتعريفًا بغنى التراث الفكري الإسلامي وبحاجة البشرية إليه في كل زمان ومكان.

كما شددوا على ضرورة العمل بكافة القرارات والأنظمة والاحترازات التي تصدرها الجهات ذات الاختصاص الصحي والأمني من أجل مواجهة هذا

الوباء، وأن هذه القرارات معتبرة وملزمة شرعا لما فيها من تحقيق للمصالح ودفع للمفاسد الخاصة والعامة، وأن من يخالف ذلك ويتساهل فيها فهو آثم شرعًا، ومستحق للعقوبة قانونًا.

ودعت التوصيات جميع المسلمين إلى الاستمرار في أداء واجبهم الإسلامي والإنساني الشرعي والحضاري في تقديم الدعم المطلوب من صدقات وزكوات وتبرعات، والعمل على كفاية حاجات المتضررين، والتراحم والتعاون مع مجتمعاتهم، وإظهار روح الإيثار والتضامن، وتجسيد أخلاق الإسلام وقيمه في أوقات الأزمات والشدائد.

كما دعا المشاركون في بيانهم الختامي، الأئمة والدعاة والمنصات الفكرية والعلمية إلى أداء دورهم في إرشاد الناس ودعمهم روحيًّا وثقافيًّا بوسائل الاتصال الحديثة، وتبنّي خطاب حضاري إنساني عالمي، وبثّ روح الأمل والتفاؤل، وإبراز مظاهر التيسير والرحمة في أوقات البلاء والمحن، لما ينشأ عن الاستقرار النفسي من أثر على تعزيز المناعة البدنية.

وتوجه المؤتمرون بجزيل الثناء والشكر لرابطة العالم الإسلامي ومجلس الإمارات للإفتاء الشرعي على عقد ورعاية هذا المؤتمر، منوهين بجهود معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي رئيس هيئة علماء المسلمين، وجهود معالي العلامة عبدالله بن الشيخ المحفوظ بن بيه رئيس مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي في تقديم الصورة الصحيحة المشرقة لرحمة الإسلام وسماحة شريعته وفي خدمة قيم التسامح والاعتدال والوحدة الإسلامية والأخوة الإسلامية والإنسانية والتضامن بين الشعوب على اختلاف أجناسها وأديانها وثقافتها.

وضمن نتائج المؤتمر العامة، أكد المشاركون في بيانهم الختامي أن من القيم المركزية التي أظهرت هذه الأزمة ضرورتها قيمة التضامن بين البشرية لمواجهة المخاطر التي لا تفرق بين الشعوب والأجناس والألوان والأوطان، بل تصيب الجميع على تنوع أعراقهم وتعدد نحلهم وأديانهم وتفاوت طبقاتهم ومستوياتهم.

وأكدوا اتفاق الديانات السماوية وفي مقدمتها الإسلام، على أن الإحسان في أوقات الشدائد والمحن؛ ينبغي أن يكون مُمتدًا لجميع الناس بغض النظر عن دياناتهم، وأن جميع الخلق مشمولون بواجب التضامن في استبقاء الحياة التي هي في أصلها هبة ربانية.

ونبَّه المؤتمر على خطورة خطاب الكراهية ومن ذلك أصوات رفض عبارات وشعارات الأخوة بين أتباع الأديان التي أسست لها الشريعة في عدد من النصوص، وما لذلك الرفض من خطورة على مواثيق الأخوة الوطنية في بلدان التنوع الديني وما يُفضي إليه هذا الأمر من إثارة الفتن فيها؛ فبين المسلمين واليهود والمسيحيين وغيرهم أُخوة في الإنسانية وأخوة في المواطنة ولا علاقة لها بأخوة الدين، ومن أدب الإسلام الرفيع حسن الخطاب وتأليف القلوب، كما نبَّه في هذا السياق على خطورة اجتزاء النصوص الشرعية، ومن ذلك ما يتعلق منها بفئات معينة من أهل الكتاب وتعميمها عليهم جميعاً، بينما قال الله تعالى عنهم ﴿ليسوا سواء﴾، وأكد المؤتمر على ما في هذا التضليل من الكذب على الله ورسوله والإساءة لدين الإسلام والتحريض عليه.

وذكر المؤتمرون بالحقيقة القرآنية، التي تقر أن حياة نفس واحدة كحياة البشر جميعاً، وخسارتها كخسارتهم جميعًا، منوهين إلى أن التعاطف الإنساني في الأزمات يُجدد شعورهم بالانتماء إلى الأسرة الإنسانية، والقرآن الكريم يؤكد أن السعي في إحياء نفس واحدة إنما هو سعيٌ لإحياء جميع الأنفس: ﴿ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾، ومعتبرين أن التحديات والأخطار المحدقة بالعالم بسبب هذا الوباء تضع الجوانب الأمنية في أولويات شروط القدرة على تجاوز الوضع الراهن ورسم معالم المستقبل، ومن ثم يتعين رص الصفوف واجتماع الكلمة ومعالجة صور النزاع والفرقة، والتأكيد على خطاب التسامح والعدل والأخوة وتفعيله اجتماعياً.

نظمته «إيسيسكو» بالتعاون مع الرابطة والمجلس العالمي للمجتمعات المسلمة

المنتدى العالمي للقيادات الدينية يصدر إعلان التضامن الأخلاقي

تقرير: زكريا أيوب دولا

عقدت منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي والمجلس العالمي للمجتمعات المسلمة منتدىً افتراضيًّا عالميًّا، تحت عنوان: «دور القيادات الدينية في مواجهة الأزمات»، وذلك يوم الثلاثاء ٢٩ ذو القعدة ١٤٤١هـ الموافق ٢١ يوليو ٢٠٢٠، بمشاركة فخامة الرئيس التشادي إدريس ديبي أتنو، ومجموعة من الشخصيات الدينية والفكرية العالمية المرموقة، وممثلين لعدد كبير من الهيئات والمؤسسات والمنظمات العالمية.

وجاء المنتدى تحت شعار «نحو تضامن أخلاقي عالمي للقيادات الدينية»، والذي أكد المشاركون فيه أن أي نموذج عالمي للتنمية الشاملة والمستدامة ينبغي أن يستند إلى منظومة أخلاقية روحية، انطلاقاً من مرتكزين أساسيين، هما: ضرورة الأخلاق العالمية، وضرورة حفظ الكرامة الإنسانية.

وقد تضمنت أعمال المنتدى جلسة افتتاحية، استُهلت بكلمة فخامة الرئيس إدريس ديبي أتنو؛ رئيس جمهورية تشاد، قال فيها: إن الأزمات والصراعات الدرامية اليومية وارتفاع نسبة العنف والكراهية تقوض تطور بلداننا وتهدد قيمنا، مضيفاً أن كل النزاعات تقوض الجهود المبذولة للسلام والأمن في العالم، داعياً فخامته إلى ضرورة فض النزاعات في المنطقة، وذلك بمعية القيادات الدينية.

وأوضح فخامة الرئيس التشادي أن المقاربة

الشاملة والشـــمولية للموضوع وحدها كفيلة لحشد الجهود وتحقيـــق الهدف المنشـــود، منوها بالدور البارز الذي تلعبه القيادات الدينية لإحلال الســـلام والاســـتقرار ونبذ العنف والكراهية، وأن كل الكتب الســـماوية تعلمنا القيم التي تجعلنـــا نعيش حياة منسجمة، مشـــيدا بأهمية تنظيم هذا المؤتمر من قبل الإيسيسكو الذي يستهدف التوصل إلى رؤية شاملة في مواجهة الأزمات.

وقال فخامته: إن جائحة كورونا شـــكلت تحدياً لكل المجتمعات وهددت أنظمتنا الصحية والاقتصادية في كل الأمـــم، معتبراً أن مواجهـــة الجائحة تتطلب عملاً كثيرا لنســـهم في حماية عالمنـــا، وأن للقيادات الدينية دوراً مهماً في فـــض النزاعات، ونشر التوعية بالإجراءات الاحترازيـــة في مواجهة الأزمات، وخاصة فيروس كورونا المستجد «كوفيد ١٩».

وأوضح معـــالي الدكتور محمد بـــن عبدالكريم العيسى؛ الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ورئيس هيئة علماء المســـلمين أن هناك دورا كبيرا للقيادات الدينيـــة في مواجهة الأزمات، خاصـــة عند الحوادث الطارئة ذات الصلة بمواد الشريعة، وهي التي تتطلب حســـماً علمياً راسخاً، سواء في فقه النص الشرعي أو الاستطلاع البحثي مع مراعاة التصور التام للواقعة مع خطاب إســـلامي مســـتنير يؤطر المادة العلمية بجمال وجلال الشريعة الإسلامية.

وأكد معاليه أن الأمة الإسلامية بل الإنسانية أجمع بحاجة إلى أفق العالم المســـتنير، مضيفاً أن جائحة كورونـــا جاءت على الجميع، والحلول يشـــترك فيها الجميع أيضاً، والإسهام الإسلامي مهم للغاية.

وقال معاليه: إن قيام القيادات الدينية بالتصدي للمســـتجدات فريضة دينية وأخلاقية وإنسانية، على أن تســـهم في اختصاصها ولا تتعـــداه، لأنها تحترم الاختصاص.

> الرئيس التشادي: كل النزاعات تقوض الجهود المبذولة للسلام والأمن في العالم

> د. العيسى: قيام القيادات الدينية بالتصدي للمستجدات فريضة دينية وأخلاقية وإنسانية

د. المالك: دور القيادات الدينية يتصاعد أكثر لتحقيق ما تصبو إليه الإنسانية

من جانبه، قال معالي الدكتور ســـالم بن محمد المالك؛ مديـــر عام منظمة العالم الإســـلامي للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيســـكو): إن المؤتمر يهدف إلى تأكيد دور القيـــادات الدينية في مواجهة الأزمات، ويطمح إلى التوافق على وثيقة تضامن أخلاقي عالمي، وإن الدين الإســـلامي الحنيف منبـــع للحكمة، التي ترسي قيم التسامح.

وأشار إلى أن دور القيادات الدينية يتصاعد اليوم أكثر مما مضى ليحقق ما تصبو إليه الإنسانية جمعاء من تضامن أخلاقي عالمي يُفضي إلى تحقيق الغايات السامية المرتكز إليها الأمن والســـلم الدوليان، لافتا إلى أن أهل الكتاب يمثلون أكثر من ٥٥٪ من ســـكان العالم بينما تمثل ديانات الشرق الأقصى ٣١٪.

وأوضح معاليه أن الأزمات تتطلب سعياً متجدداً من القيادات الإعلامية للعمـــل على الحث على تقديم الدعم للمنظمات والمؤسسات الموثوق بها.

ونوَّه معالي الدكتـــور محمد مختار جمعة، وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشـــؤون الإسلامية بجمهورية مـــصر العربية في كلمتـــه إلى أن البقاء للأصلح ولا بقاء للفساد والمفسدين، والمعيار الأخلاقي ثابت ولا يقبل الكيل بمكيالين، والقيم الإنســـانية لا تقبل ازدواج المعايير ولا ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، مضيفاً أن جميع الشرائع السماوية اتفقت على القيم الإنسانية السامية من العدل والتسامح والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وصدق الحديـــث وبر الوالدين وحرمة مال اليتيم ومراعاة حق الجوار على مســـتوى الأفراد والقبائل والجماعات والدول.

وقـــال معاليه: ينبغي التمييـــز بكل وضوح بين الدين، الذي هـــو حق، وبين أطمـــاع بعض الدول والجماعات، التي تتاجر بالدين لأغراض سياســـية تتنافى مع صحيح الدين، معتبراً أن الأمم، التي لا تبنى على الأخلاق والقيم، تحمل عوامل ســـقوطها في أصل بنائها، والتاريخ خير شاهد.

بدوره، قال فضيلة الإمـــام الأكبر الدكتور أحمد الطيب؛ شيخ الأزهر الشريف: إن العالم اليوم أحوج ما يكون إلى ترسيخ مبادئ الأخوة الإنسانية، مضيفًا أن معاني الأخوة والســـلام أصبحت اســـتثناءً من قاعدة كلية تحكم مناطق عدة من العالم على الأنانية والكراهية والصراع.

وأشـــار فضيلته إلى أن أصابع الاتهام باتت توجه إلى الأديان التي جاءت لترســـيخ الســـلام بين الناس والتأكيد على حرمة دم الإنســـان وتوفير بيئة أخلاقية يعيش فيهـــا الجميع، معتـــبراً أن علاقات الناس في القرآن هي علاقات تآخ وتعارف، ولا مكان في الإسلام لعلاقات الصراع والهيمنة الثقافية والاقتصادية بين الشعوب.

وأوضح فضيلتـــه أن المجتمعات تعاني من خلل أخلاقي وديني على الرغم من الجهود الدولية للحفاظ على الأخلاق، مؤكداً أن جائحة كورونا أصابت الجميع وكشفت عن أزمات كثيرة، خاصة على صعيد الأخلاق، فتسابق كثيرون على استغلال حاجات الناس.

مـــن جهته، أكد معـــالي الدكتور علي بن راشـــد النعيمي؛ رئيس المجلس العالمي للمجتمعات المسلمة أن اختيار موضـــوع المؤتمر مهم جدًّا، فالعالم اليوم يمر بأزمة تستهدف الإنســـان والبشرية ولا تحترم حدوداً ولا جنســـيات ولا أعراقاً، قائلاً: إن المواجهة يجب أن تكون شاملة ومن الجميع، ولا بد من تضافر جهود العالم لمواجهة مثل هذه الأزمات.

وأوضح معاليـــه أن كل الشـــعوب بعودتها إلى الأديان؛ عادت إلى المنابع الرئيســـية لتســـتلهم منها الحلول وتتطلع إلى القيادات الدينية كرموز ترشدها وتوجههـــا، مضيفاً أنه لا يمكـــن لأحد أن يلغي دور القيادات الدينية وعلى الأخيرة تحمل مسؤولياتها وأن تجعل الأديان جســـور محبة وعملاً مشتركاً لخدمة الإنسانية والبشرية.

وقال معاليه: إن كل الأديان فيها قيم نبيلة وتجمع قيماً مشتركة وعلى القيادات السعي لإبرازها لمواجهة الأزمات مع بعض كفريق واحد، مشـــيراً إلى ضرورة إدراك القيادات الدينية لمسؤولياتها الحقيقية وحدود هذه المسؤوليات.

وأشـــار معاليه أيضاً إلى ضرورة احترام القيادات الدينية للقرارات السياســـية التي تصدرها مختلف الدول في التعاطي مـــع الأزمة، والالتـــزام بالإطار السياسي في كل دولة، لأن مواجهة الأزمة ينبع من قرار ســـيادي تملكه قيادات تلك الدول والتي تحرص على حياة الناس وسلامتهم.

وعلى إثر الجلســـة الافتتاحية توالت ثلاث جلسات علمية متخصصة شـــهدت نقاشـــات ثرية وأفكاراً إبداعية، حيث تناولت الجلسة الأولى محور (المبادرات

والممارســـات الفضلى للمؤسسات الدينية خلال أزمة كوفيد ١٩)، فيما ناقشت الجلســـة الثانية (الملامح التجديدية والمســـتقبلية للفكر الديني وآليات العمل في استثمار مكتسبات الأزمات ومعالجة انعكاساتها الســـلبية)، وبحثت الجلســـة الثالثـــة (آفاق العمل المؤسساتي المشترك بين القيادات الدينية حول العالم).

وأكَّد المشـــاركون في المنتدى على أنه لتحقيق هذه الأهداف النبيلـــة والتعاون في بلوغ ثمراتها، لا بد من تكثيف جهود القيادات الدينية لتقريب وجهات النظر والمواقف بشأن الطرق الناجعة لمعالجة هذه الأزمات، ومواصلة العمل المشـــترك من خـــلال خطة تنفيذية وبرامج عملية وحلول مبتكرة لمخرجات هذا الإعلان؛ لتقديم الحلول التي تنتظرها دول العالم وشعوبه، بما يحقق وظيفة القيـــادات الدينية في المدى الحضاري، ويعزز من دور القيم الإيمانية والأخلاقية ومساهمتها في معالجة الأزمات العالمية.

ودعا المنتدى في بيانه الختامي إلى ضرورة الالتزام بمبادئ أساســـية خمسة، أولها: حق الإيمان واحترام الأديان، والمبدأ الثاني: حق الحياة ونشر السلم، والمبدأ الثالث: التضامن الإنساني والتعاون في بناء اقتصاد عالمي عادل، فيما نص المبدأ الرابع على الالتزام بثقافة التســـامح في القول والسلوك، وأخيراً مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات بين المرأة والرجل.

هذا، وقدْ خـــرجَ المنتدى في ختامه بمجموعة قيمة مِنَ التوصياتِ والقراراتِ المهمَّـــة التي خَلَصَ إليها من خلال اقتراحاتِ السادةِ المشـــاركينَ مِنَ العلماءِ والباحثينَ، وقدْ جاءتِ التَّوصِيَاتُ متضمنةً مَا يلي:

أولًا: تجميع وتوثيق مبادرات المنظمات المتخصصة والهيئات المدنيـــة والدينية لمواجهة وبـــاء كورونا المستجد، وفي مقدمتها المبادرات النوعية التي أطلقتها الإيسيسكو، ودعوة الجهات المانحة والراعية إلى تقديم الدعم لهـــذه المبادرات لتحقيق أهدافها الإنســـانية النبيلة.

ثانياً: تكليف الإيسيســـكو برفـــع إعلان المنتدى إلى الدول الأعضاء والمنظمات والمؤسســـات الإقليمية والدولية المعنية بالعمل المشترك.

ثالثاً: تكليف الإيسيســـكو بإعداد دراسة شاملة حول موجهات تجديد الفكر الديني الأخلاقي لمعالجة الأزمات؛ انطلاقًا من مضامين هذا الإعلان وموجهاته.

رابعاً: تكليف الإيسيســـكو بإعداد خطة تنفيذية وبرامج عمل عن دور الأخلاق الإنســـانية المشتركة في تحقيق التنمية الشـــاملة والمستدامة، ودعوة الجهات المتعاونة والراعية إلى تمويلها.

خامساً: تأكيد مسؤولية مؤسسات التنمية البشرية في ضرورة إعداد مدونات لأخلاقيات قطاعية في مجال البحث العلمـــي والذكاء الاصطناعـــي، والرياضة، والاقتصـــاد، والإعلام والاتصـــال؛ والتدريب عليها، وإدراجها ضمن المقررات والمناهج الدراسية.

سادســـاً: صياغة إطار تعاوني لمؤسســـة القيم الأخلاقية الدينية والإنســـانية المشتركة بين السلطات التشريعية والتنفيذية ومنظمات المجتمع المدني.

سابعاً: بلورة رؤية إنســـانية تضامنية متوازنة لقضايا الهجـــرة بين الدول المعنية، واعتبارها عنصر إغناء وتنمية بين دول العالم.

ثامناً: تحقيق نموذج لمواطنة تســـتوعب القضايا الوطنية والخصوصيات المحلية والقضايا الإنســـانية العالمية، وبخاصة في أوســـاط الشباب لتمكينهم من القيام بأدوار الوساطة الثقافية.

تاســـعاً: تأهيل العاملين في المؤسســـات والمعاهد الدينية لتمكينهم من القيام بدورهم في معالجة قضايا الشأن العام.

عاشراً: إدراج التراث الديني والروحي المادي وغير المادي للإنسانية في المقررات والمناهج الدراسية.

أكبر ملتقى في أوروبا

ملتقى ريمني

رابطة العالم الإسلامي

أول مؤسسة إسلامية تشارك في الملتقى

عدد زواره أكثر من

1,000,000 زائر

يشارك فيه أكثر من

4,000

متطوع ومتطوعة من إيطاليا وأوروبا عموماً

- الملتقى يهدف للتبادل الحضاري والثقافي حول المشتركات و إيضاح الحقائق.
- يضم الملتقى معارض عالمية ، وشاركت الرابطة فيها بجناح يبرز مستوى اسهامها الإنساني حول العالم

الحاج الإندونيسي

في أقدم فيلم وثائقي

رصد وترجمة: د. عثمان أبوزيد

علَّقت إندونيسيا الحج لهذا العام ١٤٤١هـ بسبب جائحة كورونا. ولا شك أن هذا القرار له وقع على الشعور الإسلامي في ذلك البلد الذي يكن شعبه احترامًا خاصًا للحج.

والحج باعتباره فريضة دينية وواجبًا شرعيًا له تقاليد راسخة توارثتها الأجيال في الوجدان الشعبي بإندونيسيا. وقافلة الحج الإندونيسي معروفة منذ عهد الاستعمار الهولندي، عندما وضعت الحكومة الهولندية نظامًا سار عليه الحجيج الإندونيسي آنذاك.

في الأسطر التالية، نعيش مع فيلم سينمائي وثائقي نادر يصف رحلة الحج الإندونيسي عام ١٩٢٨م. الفيلم من إنتاج مصور سينمائي اسمه (ج كروقرز).

كانت تكلفة الحج ألف (غيلدر)، يسعى الحاج إلى جمع هذا المبلغ سنة بعد أخرى بوضع جزء يسير من دخله في أحد البنوك، وكان الإندونيسيون ينتهزون فرصة المواسم الزراعية الجيدة لادخار مزيد من المال الخاص يستعينون به للسفر إلى الحج.

رحلة الحج في ذلك الوقت كلها عن طريق البحر، وتبدأ بالتعاقد مع وكالة الحج.

في المشاهد الأولى للفيلم؛ بعض الحجاج وهم يدخلون مبنى الوكالة للبدء في الإجراءات. لباسهم قميص مع قطعة القماش التي يسمونها (سارونغ) التي تلف على الخصر، ودائمًا يعتمر الإندونيسي طاقية أو شالاً.

يشتري الحاج تذكرة السفر، ويبدأ في تجهيز الزاد، ويصحب معه أمتعة كثيرة، تظهرها مشاهد الفيلم حين يحملونها على الباخرة في الميناء. ومن الأمتعة مفارش وأكياس كبيرة من القماش.

تنطلق الرحلة من ميناء (تانجونج بريوك)، وهي الآن جزء من العاصمة جاكرتا، فيها معالم تاريخية سياحية.

الإبحار على الباخرة (اليود)، إذ تحدث جلبة كبيرة وعدم انتظام في الدخول إليها، على عكس مظاهر الانتظام التي يتميز بها الإندونيسيون في الحج على أيامنا هذه. وهذا يدل على قدرة الشعب على تعلم النظام بعد الفوضى، والتحضر بعد التوحش.

لم تكن هناك وسائل حديثة مثل (الكرينات) لتحميل الأمتعة، بل تظهر بعض الحبال ورافعات بدائية من الحبال تحمل كميات ضخمة من الأمتعة وتضعها على سطح الباخرة مكدسة بغير نظام، فيجد الحجاج عنتًا كبيرًا في العثور على الأمتعة، ويحدث الكثير من الهرج والمرج عند الدخول للباخرة.

ويبدو أن بعضًا من المودعين كانوا يدخلون إلى الباخرة مما يزيد من التزاحم. وعندما تعطى إشارة الإبحار بصافرة يغادر هؤلاء المودعون، وتبدأ الرحلة الطويلة نحو مكة المكرمة. وتمر الباخرة على موانئ إندونيسية أخرى مثل مدينة (باليمبانغ)، حيث تنتظر أفواج أخرى لتلتحق بالرحلة.

يظهر عدد من رجال الإدارات الدينية الذين يتميزون بغطاء الرأس الأسود (جناه)، أما المسافرون من هذا الميناء فيضعون على رؤوسهم طواقي بيضاء، وهذا يدل على بعض الاختلافات في الأزياء التقليدية من مكان إلى آخر. معظم من نشاهدهم في الفيلم من الرجال، ولا ندري هل كان الحج في ذلك الوقت مقتصرًا على الرجال وحدهم دون النساء؟

وتقف الباخرة في مكان يسمى (سابانغ) وهي آخر محطة، حيث يلتحق الفوج الأخير من الحجاج. ويجد المسافرون فرصة لتناول طعام طازج وشراب، وللتزود بالمزيد من الأرز والبيض والفاكهة.

المظهر العام للحجاج أنهم من متوسطي الأعمار، إذ كان حجاج إندونيسيا يحرصون على أداء فريضة الحج قبل أن يتقدموا في العمر، وذلك للمشقات الكبيرة في ذلك الوقت في السفر والتعرض للأمراض والأوبئة.

ينظم طاقم الباخرة أمسيات ومهرجانات للسمر والتسلية، وتبحر الباخرة في المحيط الهندي ثم في بحر العرب والبحر الأحمر. وهنا يصعد حجاج آخرون على متن السفينة.

يصوّر شروق الشمس ثم غروبها في خط الأفق عدة مرات، مما يدل على أن الرحلة استغرقت أيامًا عدة.

وأخيرًا تظهر مدينة جدة من بعيد، وتقترب الباخرة رويدًا رويدًا حتى إذا كانت على مقربة من الشاطئ، أخذ واحد من ربان السفينة مكبر صوت يخاطب به أناسًا في الشاطئ.

تلقي الباخرة مراسيها بعيدًا عن الشاطئ بسبب ضحالة المياه، فتصل عدة مراكب شراعية تنقل الحجاج إلى ميناء جدة لتبدأ إجراءات الجمارك.

مناظر من الميناء... باعة الطعام والمشروبات يستقبلون الحجاج، ومنظر عام للمدينة بشوارعها الضيقة المتعرجة وبمبانيها البيضاء ذات النوافذ الخشبية المميزة (الروشان).

تستطيع أن تستكري حمارًا لقضاء مشاويرك... لقطات للحمير يزينها حلاق ماهر يجعل نقوشًا على ظهرها...

الأسواق مسقوفة، ونرى بائع سبح وبقالة أمامها قفاف متراصة توضع فيها أنواع من الغلال والبهارات.

لافتات لقنصليات موجودة في جدة، ومشاهد لمباني قنصليات لدول مثل مصر وإيطاليا وهولندة وإنجلترة وغيرها. وعرض لمختلف البشر من سحنات مختلفة.

منظر من مقبرة أمنا حواء، وفي بعض الأقوال إن جدة أخذت اسمها نسبة لأمنا حواء. ثم تتابعت مشاهد لأحياء من جدة، إذ تختلف سحنات الناس؛ عرب وأفغان وأفارقة...

جدة القديمة، ومشاهد لنشاط الناس في الأحياء، سوق المواشي، حيث يبلغ سعر الخروف غيلدرًا واحدًا، ثم يتكرر منظر الجمال والحمير، وهي الوسيلة المتاحة للانتقال، ولا نكاد نرى عربة واحدة.

معاصر الزيوت تديرها الجمال والحمير، والآبار وسقي الحيوانات وتوزيع الماء ينقله السقاء على ظهور الحمير أو بواسطة إناءين من الصفيح تشدهما قطعة قوية من الخشب تستقر على الكتفين.

في يوم المغادرة إلى مكة بعد أن تجهز الجمال بالأحمال، يغتسل الحجاج ويمسُّون طيبًا وزيتًا ثم يحرمون من جدة (واضح أنهم يأخذون بالرأي الذي يجعل ميقات القادم عن طريق البحر في جدة).

يحمل الجمل شخصين غالبًا، إذ يوضع على الجمل (الشقدوم)، ففي كل جانب حاج واحد، ولكن الفيلم يُظهر صعود ثلاثة أحياناً أو أكثر على ظهر الجمل. ويكون على ظهر بعض الجمال (هودج) واسع، شيء أشبه بالمظلة الواسعة، ويتسع لعدد أكبر.

لكن هناك مجموعات من الحجاج تسير على الأقدام، رجال ونساء، وكثير منهم يحملون أمتعة فوق رؤوسهم. وتستطيع أن تتبين جنسية الحاج من طريقة حمله الأمتعة، فاليمني يحمل متاعه على ظهره، والإفريقي يحمله فوق رأسه، وجنسيات أخرى تحمله على الكتف أو في اليدين.

يمر الحجاج بأرض جرداء في الطريق بين مكة وجدة، حيث تسير الجمال في قوافل، وتمر على بعض المحطات، فيها عدد من المباني البسيطة المطلية بجير أبيض.

تظهر صـــورة بانورامية مكة بمبانيهـــا ذات الطوابق والأزقة والطرق الترابية. الصـــورة مأخوذة من مرتفع قبل الدخول إلى مكة، ويأتي منظر باب الســـلام والكعبة المشرفة ومقام إبراهيم وبئر زمزم.

لا يبدو المطاف حـــول الكعبة مزدحمًا بالحجاج، مع أن الصورة التقطت في الموسم، وذلك يدل على أن الزحام لم يكن كبيرًا في تلك السنوات قبل ما يقرب من مئة عام.

تظهر العربة الميكانيكية لأول مرة في الفيلم في مشـــهد لموكب الملك عبد العزيز في أحد شوارع مكة.

معـــروف أن أول رحلة ملكية لمكـــة المكرمة كانت على ظهور الدواب، كما تذكر دارة الملك عبد العزيز، وكانت تلك الرحلة قبل تصوير هذا الفيلم بأربع ســـنوات؛ أي في عام ١٩٢٤م.

ولا تظهر عربات في الفيلم إلا منظر ســـيارتين غرزتا في الرمال، ويجتهد بعض المارة في إخراجهما من الرمال.

والمعروف أن الســـيارة دخلت إلى المملكة عام ١٩٢٦م، وحتى بعد استخدام السيارات بعد ذلك بنحو ثلاثة عقود في الخمسينيات، ظلت السيارة تستغرق نحو اثنتي عشرة ساعة في الطريق ما بين جدة ومكة لرداءة الطرق، كما يذكر الشيخ علي الطنطاوي في مذكراته.

يصوِّر الفيلم مشـــهد المصلين يوم الجمعة، حيث يشهد صحن المطاف عددًا أكبر وازدحاماً.

مشـــاهد منوَّعة من المســـعى، والذهـــاب إلى التنعيم بالحمير... ومنطقة حوض البقر كما كانت تسمى (العزيزية حاليًا)، وهي فضاء واسع تباع فيه الماشية، وتدل المشاهد على وجود آبار وسقيا ماء.

وصل فريق التصوير إلى عرفـــة في يوم التروية (الثامن من ذي الحجة)، وهناك أقاموا خيمتهم حيثما اتفق. وبدأت ساحة عرفات تســـتقبل الحجاج حتى بلغ عدد الخيام نحو ألفي خيمة. ويستقي الحجاج من عين زبيدة التي ظلت ترفد مكة المكرمة بالمياه من وادي نَعمان نحو ١٢٠٠ عام.

وتتوالى مشـــاهد الفيلم للتوقف عنـــد مزدلفة ومنارتها

البيضـــاء، ثم رمـــي الجمرات، ولقطات مـــن منى والخيم والمباني الثابتة لســـكان أقاموا بيوتهم في منى، وكان بعض الحجاج الميسورين يؤجرون غرفًا في هذه البيوت.

في اليوم الثاني عشر من ذي الحجة، توجه فريق التصوير إلى المدينة المنورة، ولا توجـــد لقطات كثيرة للطريق، إلا من منظر الجمال وبعض المسافرين على أقدامهم.

يقول التعليق على لقطة عامة مـــن المدينة المنورة: «ما تزال مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم تحتفظ بألقها منذ ثلاثة عشر قرنًا».

ويستمر الفيلم حتى العودة من المدينة المنورة والبقاء في مكة بعض الأيام، ثم العودة إلى جدة.

الصعـــود إلى الباخرة بعد الوصـــول إليها عبر المراكب، ويأتي قنصـــل هولندة في مركب بخـــاري، ويلبس ملابس رسمية بيضاء وعلى رأسه (كاب).

وفي طريق العودة، نرى مشـــهد تجهيـــز جثمان أحد الحجاج توفاه الله، والصلاة عليه، ولقطة للجثمان محمولاً إلى طرف الباخرة إيذانًا بإنزاله للبحر.

وينتهـــي الفيلم بمنظـــر العودة إلى مينـــاء (تانجونج بريوك)، وإجراءات الحجر الصحي، واســـتقبال العائدين بالسلامة من هذه الرحلة المقدسة.

الحج بين الماضي والحاضر

د. محمد محمود العطار
أستاذ مساعد – جامعة الباحة

المملكة العربية السعودية دولة إسلامية نشأة وتاريخاً، ويشهد مجتمعها تغّيرات اجتماعية وثقافية فريدة ومتميزة، وتسعى الدولة إلى تطوير المجتمع في مختلف المجالات في ضوء تعاليم الشريعة الإسلامية، وتبذل كل ما في وسعها لتوجيه مسيرة التطوير بما يخدم جميع أفراد المجتمع ويحقّق نموه وازدهاره.

وتزخر ذاكرة الحج على مر التاريخ الإسلامي بالعديد من المواقف والأحداث المهمة، كما تضم كثيراً من الأدوات والمعدات التي كان يستخدمها الحاج في الماضي، وكان من الضرورة أن تواكب روح العصر، وأن تتطور مع مرور الزمن وتطور الإنسان وتقدم سبل العيش والحياة، لتصبح أرثاً غالياً وجزءاً مهماً من ماضي الجدود والآباء.

ويروي الأجداد والآباء قصصًا وحكايات قد تبدو غريبة لجيل الأبناء وذلك حينما يسترجعون ذكريات رحلاتهم للحج في عقود ماضية، وكيف كانت هذه الرحلة الإيمانية العظيمة بالغة المشقة ومحفوفة بالكثير من الصعاب والمخاطر.

فذكريات الماضي محفوظة في الذاكرة واستحضارها مرهون بالقدرة على إمكانية استعادة صورتها واستجلاب تفاصيلها بعد أن تلاشى وهجها ومضى وقت معايشتها حتى غارت معالمها وعفى عليها الزمن وتعاقب الأجيال.

ففي الماضي كان تأثر الحجيج بالأوبئة والأمراض، والتلوث البيئي تأثرًا كبيرًا، فتحدث الكثير من حالات

الوفاة، زيادة عـــن الوفيات الناتجة عـــن الإجهاد أو التعرض لضربات الشمس أثناء أداء مناسك الحج.

ونظراً لما يشـــهده العالم من تفشي فيروس كورونا فإن المملكة العربية الســـعودية انطلاقاً من حرصها الدائـــم على تمكين ضيوف بيت الله من أداء مناســـك الحج في أمن وســـلامة، قد أعلنت إقامة حج هذا العام ١٤٤١هـــ بأعداد محدودة للراغبين في أداء مناســـك الحج لمختلف الجنسيات من الموجودين داخل المملكة، وذلك لإقامة الشعيرة بشـــكل آمن صحياً وبما يحقق متطلبات الوقاية والتباعد الاجتماعي ولضمان سلامة الحاج وحمايته من مهـــددات هذا الفيروس، وتحقيقاً لمقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ النفس البشرية من كل مكروه.

ولعل المشاريع التي تهيأت في المشاعر مثل مشروع الخيام في مشـــعر منى ومشروع تصريـــف الأمطار والسيول ومشروع منشـــأة الجمرات وقطار المشاعر وصولاً إلى تأمـــين أحدث الآليات والمعـــدات للجهات المعنية، وكذلك التوسعة الكبرى للمسجد الحرام وغيرها من المشاريع بالمشاعر المقدســـة، مما يساعد كثيرًا في سلامة وأمن الحجاج لأداء الشعيرة على الوجه الأمثل.

ففي هذا العهـــد الزاهر وبفضل الله وتوفيقه تبذل حكومة المملكة العربية السعودية جهوداً كبيرة لجعل رحلة الحاج لأداء الحـــج مريحة وميسرة، فلم تقتصر هذه الجهود عـــلى زمن محدد، بل امتـــدت منذ عهد تأسيس المملكة العربية الســـعودية على يد المغفور له بإذن الله الملـــك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل ســـعود، حتى يومنا هذا بقيادة قائد المسيرة المباركة الملك ســـلمان بن عبدالعزيز، وبجانبه ومن خلفه كل المخلصين، يتقدمهم ســـمو ولي العهد الأمير محمد بن ســـلمان بن عبدالعزيز حفظه الله، فالجميع لم يدخرا جهداً أو مالاً في رعاية ضيوف الرحمن وذلك في ســـبيل تيسير مناسك الحج.

فاللهم أدم على هذا البلد الأمين أمنه وأمانه، واحفظ ولاة أمره، وكلل مســـاعيهم الخيرة في خدمة ضيوف الرحمن بالقبول والعون والمؤازرة، إنك على كل شـــئ قدير.

رسالة تسامح وسلام من

سريلانكا

التاريخ
أبريل 2019م

الحدث
انفجارات تهز مدن سريلانكا

السبب
صراع إرهابي طائفي

الضحايا
300 ضحية متعددو الأجناس والطوائف والأعراق

الحل
الرئيس السريلانكي يستنجد **برابطة العالم الإسلامي**

الخطوات التي نفذتها الرابطة :

- الاستجابة العاجلة.
- عقد مؤتمر سلام على ثرى الأرض المنكوبة.
- تحركات معالي الأمين العام **د.محمد العيسى** لجمع فرقاء الفتنة المحتملة.

نتائج مساعي الرابطة :

- نجح الأمر وعقد المؤتمر واحتفل الوطن.
- سريلانكا تزف المؤتمر وصانعيه كما لو كان الأمر محفلاً يسابق أوراق العمل.
- الجميع يستجيب لنداء العقل والحكمة والسلام.

في ندوة مشتركة تحت عنوان «الحوار من أجل السلام»

المعهد الفرنسي للدراسات الأكاديمية والمنتدى المغربي الموريتاني يشيدان

بوثيقة مكة

باريس: خاص

أشاد المعهد الفرنسي للدراسات الأكاديمية بباريس والمنتدى المغربي الموريتاني للصداقة والتعاون، بمضامين وثيقة مكة المكرمة باعتبارها وثيقة تاريخية للسلام والتعاون، وذلك في ندوة دولية عقدها الجانبان تحت عنوان «الحوار من أجل السلام: الآفاق والتحديات في أفق جائحة كورونا».

بداية رحب الدكتور كريم إفراق أحمد رئيس المركز الفرنسي للدراسات الأكاديمية في كلمته الافتتاحية بالحضور، مؤكدًا على أن السلام يعدُّ تحديًا عالميًا، وأنه يجب على الجميع ترسيخه بكل المبادرات، مشيدًا بدور البلدان الإسلامية في مقدمتها المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة المغربية وجمهورية مصر العربية والجمهورية الإسلامية الموريتانية في نشر قيم الاعتدال والحوار في العالم برعايتهم المستمرة لكل المؤتمرات التي تعقد حول الحوار في العالم الإسلامي.

من جانبه أكد الدكتور أحمد النحوي رئيس المنتدى المغربي الموريتاني للصداقة والتعاون في مداخلته أن التحدي الكبير أمام العالم هو إحلال سلام عادل، وقال مستشهدًا بمقولة العلامة الشيخ عبد الله بن بيه رئيس منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة «إنه يجب أن نطلق الحرب على الحرب لتكون النتيجة سلمًا على سلم». وأشار في حديثه إلى مقولة لفضيلة الشيخ محمد الحافظ النحوي رئيس منتدى علماء إفريقيا أنه «لا تنمية بدون سلام دائم وعادل في العالم ينصف المظلوم ويأخذ على يد الظالم ويعطي كل ذي حق حقه».

وأشاد الدكتور أحمد النحوي بوثيقة مكة المكرمة الصادرة عن رابطة العالم الإسلامي باعتبارها مرجعية تاريخية للمسلمين، وبالدور الذي تلعبه رابطة العالم الإسلامي بقيادة الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى في نشر قيم الاعتدال والوسطية، وذلك برعاية مباركة من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز وولي عهده الأمين الأمير محمد بن سلمان.

من جهته أكد الدكتور أحمد بن محمد الجروان رئيس المجلس العالمي للتسامح والسلام على أهمية هذه الندوة من حيث الموضوع والحضور، مؤكدا أنهم في المجلس العالمي للتسامح والسلام قاموا بجهود جليلة وكبيرة في هذا المجال.

ودعا الدكتور مبارك لو، المدير المساعد لديوان الرئيس السنغالي سابقا إلى استحضار الخطاب القرآني في التعامل مع الآخر، سواءً كان مخالفًا أم محالفا.

أما مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي بجنيف الدكتور محمد لفرك فقد تحدث عن جهود رابطة العالم الإسلامي بقيـــادة الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى في نشر قيم الاعتدال والوســـطية، وأضاف «العالم يحتاج إلى مزيد من التعاون من أجل مواجهة تحدي جائحة كورونا، ونحن في رابطة العالم الإسلامي عملنا على مساعدة الشعوب لمواجهة آثار هذه الجانحة».

أما البروفيســـورة سيلفي طوســـيك المكلفة بمهمة في المركز الوطني للبحث العلمي الفرنسي فأكدت في مداخلتها عـــلى أهمية الحوار الديني، معتـــبرة أن الديانات تحث في نصوصها المقدسة على الحوار طريقًا أمثل لحل الخلافات.

وأشـــاد جميع المتداخلين بكل المبادرات التي تسعى لنشر قيم الحوار والســـلام، ومنهـــا: وثيقة مكة المكرمة الصادرة عن رابطة العالم الإسلامي بتوقيع كبار ومفتي العالم الإســـلامي في رمضان ١٤٤١هـ، ووثيقة الأخوة الإنســـانية الموقعة في أبوظبي بين الإمـــام الأكبر فضيلة الدكتور أحمد الطيب والبابا فرانسيس في فبراير ٢٠١٩م، وإعلان مراكش الصادر عن منتدى تعزيز السلم والداعي لمراجعة حقوق الأقليات الصادر في ٢٠١٦م، وإعلان دكار الصادر عن اجتماع علماء الأمة في إطار منظمة التعاون الإســـلامي الذي صدر في ٢٠١١ م، وإعلان نواكشـــوط الصادر عن منتدى تعزيز الســـلم في المجتمعات المسلمة يناير ٢٠٢٠ م.

كما أشـــادوا بدور الهيئات التي تســـاهم في نشر قيم السلام والتسامح وعلى رأســـها «رابطة العالم الإسلامي، الأزهر الشريف، مجلس حكماء المســـلمين، مبادرة السلام في فرنســـا بقيادة الرئيس ماكرون، منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة، المجلس العالمي للتسامح والسلام، التجمع الثقافي الإســـلامي بموريتانيا وغـــرب إفريقيا»، تثمينا لما تضطلع به من مهام في نشر قيم الحوار والاعتدال والوسطية في العالم.

واختتمـــت الندوة بالدعوة إلى الاســـتلهام من المنهاج النبوي الشريف في التعامل مع الآخر، ســـواء كان مخالفا أم محالفا، والدعوة إلى اللـــه بالحكمة والموعظة الحسنة،

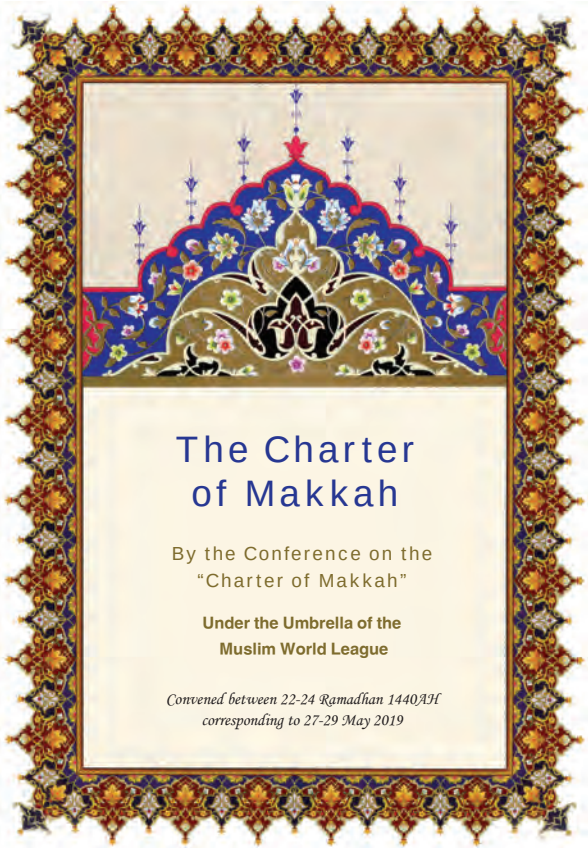

والدعـــوة لتعميم مضامين وثيقة مكـــة المكرمة ونشرها وتدريســـها في الجامعات بوصفها وثيقة تاريخية ترسخ منهج الاعتدال والوســـطية والحوار في العالم، إضافة إلى إفساح المجال للدبلوماسية الثقافية والدينية لإصلاح ما قد ينتج عن الخلافات السياسية .

كما طالبت بتعميق التعاون بين الهيئات الدولية التي تعمل في مجال نشر قيم الاعتدال والوســـطية في العالم، وســـن قوانين رادعة تحمي كل الأقليات الدينية وتجرم المساس بالمقدسات، والدعوة لحل عادل ودائم للقضية الفلسطينية مما يحقق سلاما عالميا طبقا لمعاهدات الأمم المتحدة.

كما دعت العلماء والمفكرين وقـــادة الرأي من كل الأديـــان إلى ميثاق عالمي جامـــع لمواجهة دعاة الحرب والاقتتال، وطالبت وسائل الإعلام بنشر خطاب التسامح والابتعـــاد عن الخطابـــات الأيديولوجية المحرضة على الاحتراب والاقتتال.

سلسلة نفحات من بنود
وثيقة مكة المكرمة
أولاً: تعزيز هوية الشباب المسلم
ركائز هوية الشباب المسلم
الدين
الوطن
الثقافة
التاريخ
اللغة
طرق تعزيز هوية الشباب المسلم
01 حمايته من محاولات الإقصاء والذوبان المتعمد وغير المتعمد.
02 حمايته من أفكار الصدام الحضاري والتعبئة السلبية ضد المخالف.
03 حمايته من التطرف الفكري بتشدده أو عنفه أو إرهابه.
04 تقوية مهارات تواصل الشباب مع الآخرين بوعي وأدب وأفق الإسلام الواسع.
05 التركيز على قيم التسامح والتعايش بسلام ووئام يتفهم وجود الآخر ويحفظ كرامته وحقوقه.
mwlorg | www.themwl.org

بمناسبة الاحتفال باليوم الدولي للشباب

رابطة العالم الإسلامي تؤكد أهمية إنشاء منتدى عالمي يعنى بشؤون الشباب

بقلم: د. المحجوب بن سعيد ـ الرباط

يحتفل العالم يوم ١٢ أغسطس من كل سنة باليوم الدولي للشـــباب الذي أعلنت عنه الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٩٩، عملا بالتوصية التي قدمها المؤتمر العالمي للوزراء المسؤولين عن الشباب (لشبونة ٨ – ١٢ أغســـطس ١٩٩٨). ويجري الاحتفال بهذا اليوم تحت شعار "إشراك الشباب من أجل تحفيز العمل العالمي"، حيث تنتظم جميع أنحاء العالم أنشطة عديدة يقودها الشـــباب. وتهدف هذه المناســـبة إلى تمكين الشباب وإســـماع صوتهم والتعريف بأعمالهـــم ومبادراتهم ومشاركتهم الإيجابية في مختلف مجالات الحياة، فضلاً عن مناقشة قضاياهم في التعليم والتشغيل والصحة.

وأشارت الرســـالة التي وجهها الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش، إلى أن اليوم الدولي للشباب يحل هذه الســـنة في وقت ما تزال فيه حياة الشـــباب وتطلعاتهم متأثرة بجائحة كوفيد ١٩، فضلاً عن تفاقم أوجه الهشاشة التي يعاني منها الشباب من اللاجئين أو المحاصرين بالنزاعات والكوارث.

وفي هذه المناسبة أوضحت رابطة العالم الإسلامي أن وثيقة مكة المكرمة خصصت حيزًا مهمًا للشـــباب بتركيزها على «تعزيز هوية الشـــباب المسلم بركائزها الخمس: الدين، والوطن، والهوية، والثقافة، والتاريخ، واللغة، وحمايتها من محـــاولات الإقصاء أو الذوبان المتعمد وغير المتعمـــد». ودعت وثيقـــة مكة المكرمة التي اعتمدهـــا ١٢٠٠عالم ومفكر من مختلف المذاهب والطوائـــف، إلى ضرورة «حماية الشـــباب من أفكار الصـــدام الحضاري والتعبئة الســـلبية ضد المخالف، والتطرف الفكري بتشـــدده أو عنفـــه أو إرهابه، مع تقوية مهارات تواصل الشباب مع الآخرين بوعي يعتمد أفق الإسلام الواسع وأدبه المؤلف للقلوب، ولاسيما قيم التسامح والتعايش بســـلام ووئام يتفهم وجود الآخر ويحفظ كرامته وحقوقه».

ونوَّهت الرابطة إلى أهمية المقترح الذي تضمنته وثيقة مكة المكرمة الداعي إلى «إيجاد منتدى عالمي يعنى بشؤون الشباب بعامة، يعتمد ضمن برامجه التواصل بالحوار الشبابي البناء مع الجميع في الداخل الإسلامي وخارجه، متبنيًا أطروحات الشباب وإشكالاتهم كافة، بوضـــوح ومصارحة تامة، من خـــلال كفاءات تتميز بالعلم والحس التربوي، تتبادل مع الشـــباب الحوار والنقاش بخطاب موازٍ يتفهم مرحلتهم ومشـــاعرهم، تلافيًا لغياب مضى أحدث فراغًا، وعاد بنتائج سالبة».

والواقـــع أن التسريـــع بإنشـــاء هـــذا المنتدى أصبح ضروريًـــا لاعتبارات وعوامـــل عديدة من بين أهمها الإقبال المفرط للشـــباب على الاستخدام غير المرشَّد لشـــبكات التواصل الاجتماعي، الذي أثار انتباه المســـؤولين والخبراء وأولياء الأمور نظـــرًا لما ينطوي عليه من المخاطـــر، منها تعرض الشـــباب للتضليل والانحرافات مثل الجرائم الإلكترونية والتأثر بالمواقع

الإلكترونية للتنظيمات الإرهابية بما فيه من مس بالأمن المجتمعي والنظام العام.

وإن إنشاء هذا المنتدى من شأنه أن يدفع إلى توعية الشباب وبث أخلاقيات التعامل مع هذه الوسائط الجديدة، وتكوين مراكز للإبداعات الشبابية وتنظيم دورات في آليات الإعلام الجديد، وتأسيس غرف الإنصات لمشاكل الشباب وتعضيد العلاقات الإيجابية بعضهم ببعض، وعلاقتهم بأسرهم وبمؤسسات التربية والتعليم.

لذلك فإنّ حماية الناشئة والشباب تقتضي، بشكل متزايد، معرفة عميقة بالقوة الكامنة في هذه الوسائط فهمًا لاستخداماتها، والإحاطة بالأشكال الممكنة للتسلل إليها واقتحامها من لدن مجرمي الإنترنت

لقد أصبحت حماية الشباب من مخاطر الإنترنت تتطلب الأخذ بعين الاعتبار، وبالضرورة، مسألة تربيتهم، وتوعية الآباء والأقربين والمربين، وتدريبهم على استخدام وسائط الإعلام. ومن هذه المخاطر تعرض الشباب لأصناف من الإثارة، مثل التحريض على الكراهية والعنصرية، وكراهية الأجانب، ومعاداة الأديان والإساءة إليها والاستهزاء بمقدساتها واحتقار رموزها، والتلاعب بالأفكار وغسل الأدمغة ، كلها مخاطر موجودة على شبكة الإنترنت.

مبادرات

رابطة العالم الإسلامي

العالمية للشباب

انطلقت

من مقر الأمم المتحدة بجنيف

جمعت

- رؤساء حكومات وبرلمانات
- سفراء أمميين
- كبار قادة أتباع الأديان والفكر
- الأكاديميين ذوي الاختصاص بقضايا الشباب

التنفيذ

- شكلت إدارة المؤتمر لجنة تنسيقية لمتابعة تفعيل قرارات وتوصيات المؤتمر، وتقديم التقارير الدورية.

المخرجات

- تبنى المؤتمرون ٣٠ مبادرة بآلياتها التنفيذية في مجالات تعليمية وتدريبية وتنموية وثقافية وأسرية .
- تسعى المبادرات إلى تحقيق دور أكثر فعالية للشباب في عالم اليوم من خلال مبدأي التحصين والتمكين.

> رصيد التطرف هو الشباب الذي يمكن اختراقه
>
> معالي الشيخ د. محمد بن عبدالكريم العيسى

«الرابطة» تواصل إرسال المساعدات الإنسانية حول العالم

استكمالاً لدور رابطة العالم الإسلامي في دولة #غامبيا .. تجهيز مستوصف السلام بالمعدات الطبية والأثاث بعد ترميمه.

تشمل أجهزة تخطيط القلب والأكسجين والأدوية ..

رابطة العالم الإسلامي تسلم حكومة باكستان حزمة مساعدات جديدة لمكافحة جائحةكورونا

40 مرة حدث تعليق كلي أو جزئي للحج

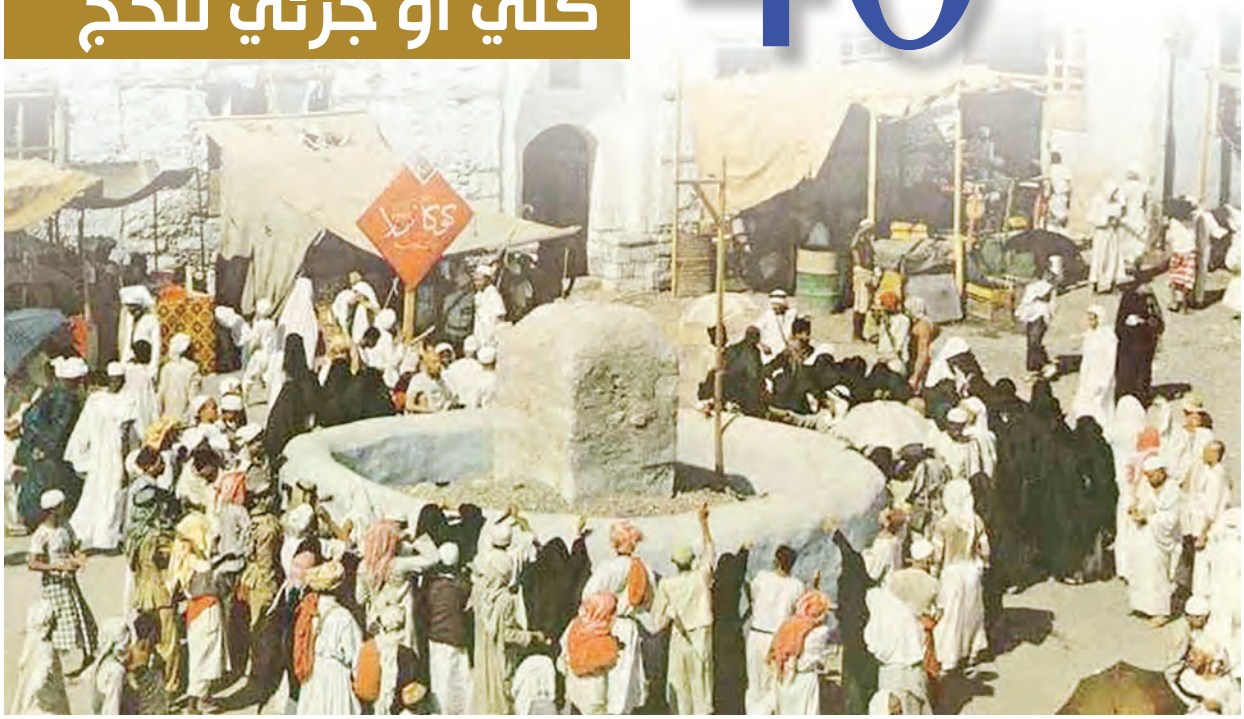

بقلم: د. محمد تاج العروسي

صادف حج هذا العام ١٤٤١هـ انتشار مرض كورونا الذي توقفت على إثره الحركة والرحلات وجميع الأنشطة، ابتداءً من شهر رجب، وبدأت تعود مظاهر الحياة الطبيعية شيئًا فشيئًا اعتبارًا من نهاية شهر شوال، إلا أن منظمة الصحة العالمية حذرت من عودة المرض وبصورة أقوى إذا لم يطبق الناس التعليمات التي أصدرتها المنظمة، ومن أهمها التباعد الجسدي.

في ظل هذه الظروف رأت المملكة العربية السعودية أن المصلحة العامة تقتضي بتعليق حج هذا العام بالنسبة للحجاج الذين يأتون من خارج المملكة، وقررت إقامة فريضة الحج بأعداد محدودة من مختلف الجنسيات الموجودة داخل المملكة ممن تنطبق عليهم الشروط التي وضعتها وزارة الحج، وذلك حرصًا منها على إقامة الشعيرة بشكل آمن صحيًا، مع تجنب الإصابات بهذا المرض وغيره من الأمراض قدر المستطاع، وتجهيز كل الإمكانيات، وتوفير سبل السلامة. كما قررت المملكة وضع العائدين من الحج في الحجر الصحي.

إن تعليق فريضة الحج لمصلحة متيقنة، أو راجحة أمر سائغٌ من الناحية الشرعية، ويدخل

ضمن «الضروريـــات الخمس» التي جاءت الشريعة الإسلامية للحفاظ عليها، وكلّ ما يؤدي لحفظ هذه الأصول فهـــو مصلحةٌ، وما يـــؤدي لضياعها فهو مفســـدةٌ، ومن تلك المصلحة حفـــظ أرواح الناس، وعدم تعريضهم للهلاك، فقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة».

قال عبد الرحمن السعدي: الإلقاء باليد إلى التهلكة يرجع إلى أمرين: ترك ما أمر به العبد، وفعل ما هو سبب موصل إلى تلف النفس أو الروح، فتدخل تحت ذلك أمور كثيرة، فمن ذلك تغرير الإنسان بنفسه في مقاتلة أو ســـفر مخوف، أو محل مسبعة أو حيات، أو يصعد شجرًا أو بنيانًا خطرًا، أو يدخل تحت شيءٍ فيه خطـــر ونحو ذلك، فهذا ونحوه، ممن ألقى بيده إلى التهلكة. (تفسير السعدي ١/ ٩٠).

فالتجمع الكبـــير في ظل انتشـــار هذا المرض سواءً للحج أو لأي غرض آخر يدخل أيضًا في عموم إلقاء النفـــس إلى التهلكة، ويدخل كذلك ضمن عدم الاستطاعة على الحج بمفهومها الواسع. ذكر جمهور الفقهاء أن الاســـتطاعة الواردة في القرآن تشـــمل الاستطاعة البدنية، والمالية، والأمنية، قال الله تعالى: «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً». قال ابن عباس رضي الله عنهما، والاســـتطاعة: أن يكون قادرًا على الزاد والراحلة، وأن يصح بدن العبد وأن يكون الطريق آمنا. (السنن الكبرى للبيهقي ٤/ ٣٣١).

ونقل عن المالكية: أن الاستطاعة شرط من شروط الوجوب، وهي تشمل الزاد والراحلة وأمن الطريق، وصحة البدن وإِمْكَانِ الْوُصُولِ إلى مكة بِلَا مَشَـــقَّةٍ عَظُمَتْ وَأَمْنٍ عَلَى نَفْسٍ وَمَالٍ، وَقَدْ رَتَّبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْوُجُوبَ بِحَرْفِ (عَلَى) لِلاسْتِطَاعَةِ فَتَكُونُ سَبَبًا لَهُ، وَتَرْتِيبُ الْحُكْمِ عَلَى الْوَصْفِ يَدُلُّ عَلَى سَـــبَبِيَّةِ ذَلِكَ الْوَصْفِ لِذَلِكَ الْحُكْمِ. (مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ٣/ ٤٤٧، الفَواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني ٢/ ٧٩١).

ونقل عن الحنابلة: أن الاســـتطاعة أمن الطريق، فإذا كان الطريق مخوفاً لوجود السباع والعوادي، أو كان سفره إلى مكة يتوقف على ركوب البحر والسفن، وهاج البحر فيها وغلب على ظنه أنه لو ركبه يهلك، لم يجب عليه الحج؛ لأن الله يقول: «وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَـــةِ» ويقول: «وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَـــكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمـــاً»، فالله لا يخاطب بما فيه خَواطر بالأنفس، إلا ما شرع من الجهاد، وأما ما عدا ذلك من الفرائض، فإنها لا تكـــون لازمة على وجه يؤدي إلى فوات الأنفس. (شرح كتاب المناسك من زاد المستقنع لمحمد مختار الشنقيطي ١/ ٢٠).

ونقل عن الحنفية: أن المقصود بالاســـتطاعة في الآيـــة: صِحَّةُ الْبَدَنِ فَلَا حَجَّ عـــلى الْمَرِيضِ وَالزَّمِنِ وَالْمُقْعَدِ وَالْمَفْلُوجِ وَالشَّـــيْخِ الْكَبِـــيرِ الذي لَا يَثْبُتُ على الرَّاحِلَةِ بِنَفْسِـــهِ وَالْمَحْبُوسِ وَالْمَمْنُوعِ من قِبَلِ السُّـــلْطَانِ الْجَائِرِ عن الْخُرُوجِ إلَى الْحَـــجِّ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرَطَ الاســـتطاعة لِوُجُوبِ الْحَجِّ وَالْمُرَادُ منها اسْتِطَاعَةُ التَّكْلِيفِ، وَهِيَ سَـــلَامَةُ الْأَسْبَابِ وَالْآلَاتِ، وَمِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ سَلَامَةُ الْبَدَنِ عن الْآفَاتِ الْمَانِعَةِ عن الْقِيَامِ بِمَا لَا بُدَّ منه في سَفَرِ الْحَجِّ لِأَنَّ الْحَجَّ عِبَادَةٌ بَدَنِيَّةٌ فَلَا بُدَّ من سَلَامَةِ الْبَدَنِ وَلَا سَلَامَةَ مع الْمَانِعِ. (بدائع الصنائع للكاســـاني ٢/ ١٢١، الدر المختار: ٢/١٩٤-١٩٩).

لم يكن تعليق أداء فريضة الحج لعموم الناس بسبب تفشي الأمراض، أو فقدان الأمن أو غيرهما أمرًا جديـــداً، فقد حدث عبر التاريخ الإســـلامي تعليقه كليًا، أو جزئيًا بســـبب انتشار الأمراض والأوبئة، والاضطرابات السياسية، وعدم الاستقرار الأمني، والغلاء الشديد، والاضطراب الاقتصادي، وفقدان أمن الطرق من قبل اللصوص والقُطاع، أربعين مرة حسب استقصاء دارة الملك عبد العزيز للبحوث التاريخية وموقعهـــا، وأدى إلى قلة عدد

الحجاج وموت عدد كبير منهم أثناء أداء فريضة الحج.

عام ٢٥١ هـ/ ٨٦٥ م:

لم يتمكن الحجاج من الوقوف بعرفة بسبب فتنة إسماعيل بن يوسف العلوي، حيث هاجم الحجاج وقتل أعدادًا كبيرة منهم.

عام ٢٦٢ هـ/ ٨٧٦ م:

خاف الناس من الحج بسبب الصراع بين الجزارين والحناطين.

سنة ٢٦٦ هـ/ ٨٨٠:

وثب الأعراب على كسوة الكعبة ونهبوها، وأصاب الحجاج خوف شديد.

٢٦٩ هـ/ ٨٨٣:

دار قتال بين الحجاج المصريين والعراقيين.

عام ٣١٦هـ/ ٩٢٨م:

تعطل الحج بسبب القرامطة، فلم يحج في تلك السنة أحد خوفًا منهم؛ لأنهم يعتقدون بأن شعائر الحج من شعائر الجاهلية ومن قبيل عبادة الأصنام. وفي العام الذي يليه دخل أبو طاهر القرمطي المسجد الحرام وهو سكران، وبيده سيف مسلول، وأسرف هو وأصحابه في قتل الحجاج، وكان الناس يطوفون حول البيت والسيوف تأخذهم، وقُتِلَ في المسجد الحرام ألف وسبعمائة، وقيل ثلاثة عشر ألفًا من الرجال والنساء، وهم متعلقون بالكعبة، وردم بهم بئر زمزم، وفرش بهم المسجد الحرام وما يليه، وقيل دفن البقية بالمسجد بلا غسل وصلاة، وجعل الناس يصيحون تقتل جيران الله في حرم الله. نقلاً من كتاب: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الحرام محمد طاهر الكردي ٤/ ٣٤٠.

وقتل في سكك مكة وظاهرها وشعابها من أهل خراسان ومغاربة وغيرهم زهاء ثلاثين ألفا، وسُبي

من النساء والصبيان نحو ذلك، فكان ممن قتل بمكة أميرها ابن محارب، والحافظ أبو الفضل محمد بن الحسن الجارودي الهروي، حيث أخذته السيوف وهو متعلق بيديه بحلقة الباب حتى سقط رأسه على عتبة الكعبة، وغيرهما من المشايخ، وخلق من الأعيان، ولم يقف أحد هذه السنة بعرفة إلا قوم يسير غرروا بأنفسهم وتمموا حجهم دون إمام وكانوا رجالة.

وأخذ أبو طاهر أموال الناس وحلية الكعبة، وهتك أستارها، وقسم كسوتها بين أصحابه، ونهب دور مكة، وخلع باب الكعبة وأمر بقلع الميزاب، وقام هو وأصحابه بمكة أحد عشر يومًا، وقيل ستة أيام، وقيل سبعة أيام، ثم انصرف إلى بلده هجر، وحمل معه الحجر الأسود يريد أن يجعل الحج عنده، فهلك تحته أربعون جملا، وبقي موضع الحجر من الكعبة خالياً يضع الناس فيه أيديهم للتبرك. (العبر في خبر من غبر للذهبي ١/ ٤٧٤، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة. لعبد القادر الحنبلي ١/ ٣٢٠).

عام ٣٥٧هـ/ ٩٦٧م:

انتشر داء الماشري في مكة، فمات به خلق كثير، وفيها ماتت جمال الحجيج في الطريق من العطش، ولم يصل منهم إلى مكة إلا القليل، بل مات أكثر من وصل منهم بعد الحج. (البداية والنهاية ١١/ ٣٠٠).

عام ٣٧٢هـ/٩٨٢م:

لم يحج أحد من العراق بسبب الفتن والخلافات بين خلفاء بني العباس وخلفاء بني عبيد، قادة الدولة الفاطمية.

عام ٣٩٠هـ/٩٩٠م:

انقطع الحاج المصري في عهد العزيز بالله الفاطمي لشدة الغلاء، وفي عام ٤١٩هـ/١٠٢٨م لم يحج أحد من أهل المشرق ولا من أهل الديار المصرية، إلا أن قومًا من خراسان ركبوا البحر من مدينة كرمان فانتهوا إلى جدة فحجوا.

سنة ٤٢١ هـ /١٠٣٠م:

تعطل الحج أيضا سوى شرذمة من أهل العراق ركبوا جمال البادية مع الأعراب فأدوا الحج. (البداية والنهاية ١٢/ ٣١، ٣٦).

سنة ٤٣٠ هـ/ ١٠٣٨م:

لم يحج أحد من العراق وخراسان، ولا من أهل الشام ومصر.

عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م:

حل بالمسلمين ارتباك وفقدان للأمن بسبب النزاع المستشري بين ملوكهم، وقبل سقوط القدس في يد الصليبيين بخمس سنوات فقط لم يحج أحد لاختلاف السلاطين.

عام ٥٦٣ هـ/ ١١٦٧م:

لم يحج المصريون، وبعد ذلك لم يحج أحد من سائر الأقطار ما عدا أهل الحجاز. وفي سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٣م، عاد أهل بغداد للحج بعد توقف دام ١٠ سنوات بعد وفاة المستنصر بالله، وكانت سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م مشابهة لها حين هاجم المغول بغداد.

عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م:

مات نحو ٨٠٠٠ شخص في الحجاز بسبب الطاعون، فتوقف الحج. وبعد ثلاثة أعوام انتشر وباء بموسم الحج ومات عدد كبير من الحجاج.

عام هـ ١٢١٣هـ/١٧٩٨م:

توقفت رحلة الحج وقافلته من شمال إفريقيا ومصر أثناء الحملة الفرنسية بقيادة نابليون، وتعذر

كذلك وصول قافلة الحج الشـــامي بسبب اعتداءات البدو عليهـــا في المنطقة الممتدة من شـــمال المدينة المنورة وحتى جنوب دمشق، وكذلك اعتداء القبائل البدوية بين مكة والمدينة على الحجاج.

وفى عام ١٢٣٠ هـــ / ١٨١٤م تفشى الطاعون في بـــلاد الحجاز، ومات نحو ٨٠٠٠ شـــخص، ولم يحج أحد في تلك الســـنة. وفي عام ١٢٣٥ هـ الموافق ١٨٢١م مات الكثير من الحجاج المصريين بالحمى.

وفي عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م تفشى وباء في موسم الحج، يعرف بـ «الوباء الهندي» ومات عدد كبير من الحجاج، وفي عام ١٢٤٦هـ/ ١٨٣١م تفشى الوباء الآتي من الهند مجددا، فمـــات ما لا يقل عن ثلاثة أرباع الحجاج، وخلال الفترة من١٢٥٢هـ/ ١٨٣٧م إلى ١٢٥٥هـ/ ١٨٤٠ شهدت الحجاز تفشي الأوبئة وتوقف أكثر الناس عن الحج.

وفي عام ١٢٧٩ هـــ الموافق ١٨٥٨م انتشر وباء قتل الكثير من الحجازيين، وفر الباقون إلى مصر.

وفي عام ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م تفشى وباء الكوليرا في موسم الحج، وكان شـــديدًا، ومات عدد كبير من الحجاج، وتزايدت الوفيات في عرفات، وبلغت ذروتها في منى، وبعدها بثلاث ســـنوات أي في ١٣١٢هـ/ ١٨٩٥ تفشى وباء يشـــبه حمى التيفوئيد أو الزحار مـــن قافلة جاءت من المدينة المنورة، واســـتمر أيام الحج وانتهى في منى. وفي عام ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م تفشى التهاب السحايا، ووصلت نسبة تفشيه حوالي عـــشرة آلاف إصابة، ولم يتم إلغـــاء فريضة الحج والعمرة بسبب انتشاره.

نســـتخلص من هذا العـــرض السريع لتفشي الأمراض بين الحجاج في مواســـم الحج عبر التاريخ الإســـلامي، أن التجمع الكبير يســـبب غالبًا انتقال الأمراض المعدية عن طريق الرذاذ، ويؤدي إلى موت أعداد هائلة، وهو ما جعل المملكة منذ أن تأسســـت تسعى جاهدة في كل ســـنة لتوفير جميع الخدمات والســـبل الوقائيـــة للحجاج، ممـــا أدى إلى تقلص الأمراض في مواســـم الحج، إضافة إلى أمن الطرق، والقضاء عـــلى اللصوص وقطاع الطـــرق، وتوفير خدمات الحجاج في مختلف المجالات، ومنها الصحية، والأمنية، والغذائية.

يقول شكيب أرسلان الذي حج عام ١٣٤٨ هـ: ما إن تأسســـت الدولة الســـعودية ودخل الملك عبد العزيز، رحمه الله، مكـــة المكرمة، والذي كان همه الأول بســـط الأمن وتأمين طرق الحجاج، حتى عم الأمن والأمان ربوع المملكة العربية الســـعودية، ولا سيما منطقة مكة المكرمة والمدينة المنورة. وأضاف «لو لم يكن من مآثر الحكم الســـعودي سوى هذه الأمنة الشاملة الوارفة الظلال على الأرواح، والأموال التي جعلت صحاري الحجـــاز وفيافي نجد آمَنَ من شـــوارع الحواضر الأوروبية، لكان ذلـــك كافياً في استجلاب القلوب واستنطاق الألسن في الثناء عليه».

ويقول «كانت قوافـــل الحجاج من جدة إلى مكة المكرمة خيطاً غـــير منقطع، والجمال تتهادى تحت الشقادف، وكثيراً ما تضيق بها السبيل على رحبها، وكان الملك أيده الله من شدة إشفاقه على الحاج وعلى الرعية لا يرفع نظره دقيقة عن القوافل والســـوابل، ولا يفتأ ينبه ســـائقه بعدم العجلة، وكل هذا لشدة خوفه أن تمس سيارته شـــقدفاً أو تؤذي جملاً أو جمالاً، وهكذا شأن الراعي البر الرؤوف برعيته، الذي وجدانه معمور بمعرفة واجباته».

(الارتســـامات اللطاف في خاطـــر الحاج إلى أقدس مطاف، شكيب أرسلان، ص ٢٣).

دور طرق الحج ورحلات الحجاج في التواصل الحضاري

للدكتور حسن عزوزي
رئيس مركز الدراسات والأبحاث في مجال تصحيح صورة الإسلام بفاس

إن دراسة واعية لثقافة الحج في شـــمولها وتفاصيلها تعطينا البرهان القاطع على أنه ما من مبدأ أو قانون من قوانين الحياة خلقه الله لأداء حق أمانة الاســـتخلاف إلا كان لبنة في بناء الحضارة الإسلامية. والمتأمل لمعنى كلمة الحضارة يجد أنها فضلا عن كونها جملة من مظاهر الرقي المادي والعلمي والاجتماعي فهي تمثل خزينة للأسس والمقاصد والكليات الكبرى في الشريعة، بمعنى أن طريق تحقيق وبناء الحضارة هو طريق تحقيق الأسس والمقاصد الإســـلامية إجمالا وتفصيلا، لـــذا يبقى مصير الأمة مرهونا بمدى قدرتهـــا على أن تجعل من مقاصد العبادات وأوعية التراث ومجالات القيم والأخلاق رأس مال قابلا للتوظيف في عمليات التجديد واســـتئناف الدور الحضاري المطلوب. وتأسيســـا للربط بين الحج وبناء الحضارة يأتي الحديث عن دور طرق الحج والرحلات التي تمت عبرها في بناء الحضارة الإسلامية وتعزيز جسور التواصل العلمي والثقافي بين الشعوب.

ومما لا شـــك فيه أن المســـلم وهو يفكر في الثوابت والقيم والمسلمات التي يؤمن بها تنتصب أمام مخيلته الكعبة المشرفة سواء أكان في أقصى شرقها أو في أقصى غربها، يرحل إليهـــا بذاكرته على الأقل خمس مرات في اليـــوم متجها إليها في صلواته ومؤمـــلا زيارتها وأداء مناســـك الحج. ومن هنا ينبغي تصـــور العدد الكبير للمواقع الجغرافية التي كان الحاج يمر منها ليصل إلى بيت الله الحرام، وهي المواقع التي أضحت بفضل ذلك

العبور طوال مواسم الحج ذهابا وإيابا مراكز ثقافية وحضارية يجتمع فيها رجال العلم والثقافة والصناعة والتجارة. وتأتي شهرة هذه الطرق لارتباطها بالحرمين الشريفين، ولهذا حرص الولاة والسلاطين على العناية بها عن طريق اختيار مسالكها وتنظيفها من الأحجار والأشواك وحفر الآبار على جنباتها، وذلك خدمة لركبان الحجيج وإظهارا لقوة الدولة واستقرارها السياسي والاقتصادي.

من هنا يتجلى الدور الكبير والتأثير الهائل لمؤسسة الحج في مجال تغذية التواصل الثقافي والحضاري بين مختلف الأمصار الإسلامية التي اتخذت لحجاجها طرقا إلى الحج عرفت بطرق الحج.

وكانت الطرق في زمان الجاهلية مسلوكة إلى مكة المكرمة للحج أو للتجارة، حيث تقام بالقرب منها سنويا أسواق منها: «عكاظ» و«مجنة» و«ذو المجاز»، وكانوا يبتاعون في هذه الأسواق إلى حين قرب أداء مناسك الحج. وعندما جاء الإسلام كره المسلمون الاتجار في هذه الأسواق الجاهلية فنزل قول الله تعالى (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) (البقرة ١٩٨).

وبعد ظهور الإسلام وانتشاره في أرجاء الجزيرة العربية وخارجها وتحول الخلافة إلى كل من الشام والعراق حرص الخلفاء والأمراء على عمارة طرق الحج وتحديد مساراتها وحفر الآبار وبرك المياه لتجميع مياه السيول وبناء المساكن.

وقد أوضح لنا المؤرخون وأصحاب كتب الرحلات الحجازية وعلماء المنازل والديار تلك الجهود الجليلة التي بذلها الخلفاء والأمراء من أجل إعمار هذه الطرق وجعلها تتوفر على كل ما يحتاج إليه الحجاج أثناء سلوكها، وهو ما أسهم في ازدهار عمراني وحضاري كان له أكبر الأثر في تنمية مجالات ثقافية واجتماعية عديدة، ولم يقتصر الاهتمام بذلك على الخلفاء والولاة وإنما كانت هناك جهود مبذولة من ذوي اليسار والإحسان الذين كانوا يتنافسون على خدمة الحجيج من خلال إصلاح طرق الحج المسلوكة وحفر الآبار على جنباتها. كما كانت قوافل الحجاج من كل قطر تخضع لنظام يكفل لها الأمن بأن تكون في حراسة وأن يقوم بالأمر مسؤول كبير عن حفظ الأمن والنظام طوال مراحل سفر القوافل، وكذا أثناء إقامتها بالمشاعر المقدسة، ثم أثناء العودة إلى الأوطان. ويعين المسؤول الذي كان يحمل صفة «أمير الحج» من طرف الحاكم أو السلطان في كل قطر إسلامي.

من جهة أخرى اهتم العلماء قديما وحديثا بطرق الحج اهتماما بالغا باعتبارها من أهم أسباب التواصل ثقافيا وحضاريا واقتصاديا واجتماعيا، وألفوا في موضوعها كتب رحلات دونوا فيها أخبار رحلاتهم ووصفوا فيها المدن والمساجد والمباني وأماكن وجود الماء والطرق والقرى والآثار التاريخية القديمة وأحوال الطقس والمناخ، كما وصفوا المجتمعات وأخلاقهم وطباعهم. ويكفي الرجوع إلى ما دونه ابن بطوطة المغربي في رحلته المشهورة، وهو الذي أتيحت له فرصة الوصول إلى البقاع المشرفة ثلاث مرات: عام ٧٢٦هـ عن طريق المغرب، وعام ٧٢٧هـ عن طريق بغداد، ثم عام ٧٣٢ هـ عن طريق البحرين، وقد زودنا في رحلته بلائحة طويلة

من المراكز العلمية والمحطـــات الثقافية ذات الصلة بثقافة الحج.

لقد أسهمت طرق الحج في تعزيز جسور التواصل الحضاري بين الشعوب الإســـلامية وحققت كثيرا من الأهداف والمقاصد النبيلـــة التي كان لها أكبر الدور في البناء الحضاري للأمة الإسلامية، ويمكن اختصار أبرز الأعمال الجليلة التي حققتهـــا ثقافة الحج من خلال طرق الحج المسلوكة فيما يلي:

١: الأهداف العلمية المتمثلة في الدراسة والتدريس، فقد دأب العلماء الحجاج على استثمار فرصة الذهاب إلى الديار المقدســـة لأداء الحج مـــن أجل التدريس أو تحصيل مزيد من العلم والمعرفة ســـواء عن مشـــايخ الحرمين أو في المدن العلمية التي كانت تمر عبرها طرق الحج التاريخية، ولذلك تطفح عديد من كتب الرحلات بلوائح لأعلام وعلماء مختلف الجهات الإســـلامية التي يتم عبورها والنـــزول بها. وقد اعتـــذر أبو عبد الله المقري الأندلسي عن حصر عدد من زار واستقر وجاور فقال (لو أطلقنا عنان الأقـــلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء الأعلام لطال الكتاب ولكثر الكلام» (نفح الطيب للمقري :٢/١٣٦).

وفي مصر كان مقام الحجـــاج في انتظار انطلاق القوافل مصدرا جيدا للمعرفة والثقافة، لأن ما كانت تتوفر عليه من أســـاتذة ومشـــايخ ومن مؤسسات حضاريـــة ودينية كل ذلك يجعـــل الحاج على اطلاع وعلم بعـــدد من حقـــول المعرفة، وكانـــت القاهرة والإسكندرية قد ســـخرتا كل الحجاج الذين اتخذوا منهما محطتهم نحو شـــبه الجزيرة العربية ينهلون من العلوم والمعارف التي اســـتأثرتا بها ويستفيدون من الإمكانيات الحضارية الهائلـــة التي كانت تنعم بهما المدينتان في ظل تسامح شامل بين المذاهب وبين النحل والملل. أما في الجزيرة العربية فقد كان من بين المحطات العلمية التي استوقفت ابن بطوطة (الرحلة ٢/٢٤٨) محطة (حجر اليمامة) التي كانت من أعظم

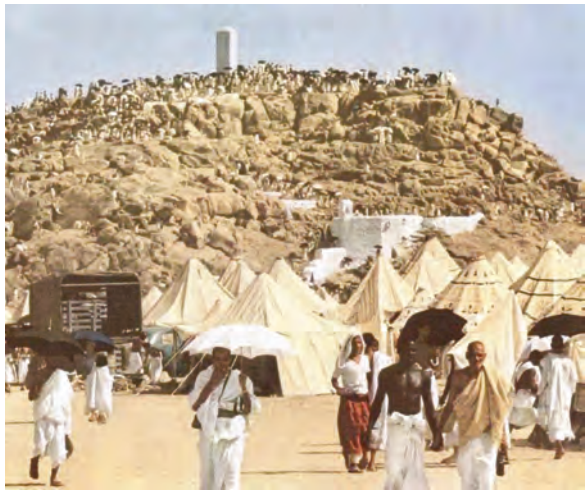

المراكز التي تتمتع بمناخ علمـــي وثقافي رفيع، وهذا الحجر هو الذي تقع فيه اليوم مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية.

ومما يعطينا صورة أوضح عن الأبعاد الحضارية والأهداف العلمية لحلقات الدرس التي يتيحها موسم الحج أنه في الحرمين الشريفين لم يكن المشايخ والعلماء يقتصرون على لغة القـــرآن الكريم في التبليغ، بل كان منهم من يتجاوزها إلى العديد من اللغات اســـتجابة لحاجيـــات القادمين من مختلـــف الأصقاع مثل بلاد فارس والهند والحبشة وغيرها. ويذكر الرحالة محمد الســـنوسي في رحلته الحجازية (١/١٢٤) أن العلامة المغربي عبد الجليل برادة الفاسي المقيم بالمدينة المنورة عام ١٢٩٩هـ كان يتقن خمـــس لغات هي: العربية والفارسية والهندية والتركية والحبشية (١٤)، ويعتبر الشيخ برادة الذي لا تزال ذريته إلى الآن بالمدينة المنورة نموذجا فقـــط لما كانت تزخر به مثـــلا مكة المكرمة والمدينة المنورة أثناء مواســـم الحج من حلقات العلم و العلماء.

٢: إســـهام الرحلة إلى الحج في نشوء بعض العلوم كعلم الجغرافيا بكل فروعه وعلم الفلك وعلم الإناســـة (الإنثروبولوجيا)، فقد أسهمت ثقافة الحج مثلا في بروز علم الجغرافيا وتأسيسه على ركائز علمية موضوعية،

وكانت طرق الحج هي التي دفعت علماء المسلمين قديما إلى وضع الخرائط التي توضح هذه الطرق كلها، ولذلك تم اللجوء إلى قياس المسافات بين البلدان والأقاليم وتحديد نقاط استراحة الحجاج وقوافل الحج. وبسبب رحلات الحج اهتدى علماء المسلمين إلى تقسيم الأرض حسب خطوط الطول والعرض جاعلين من مكة المكرمة مركز الأرض. وبسبب تخلف المسلمين أخذ البريطانيون هذه الفكرة فجعلوا مركز الأرض مدينة غرينتش وهو المعتمد اليوم.

٣: الاطلاع على خصوصيات البلدان والأقاليم الإسلامية التي تجوبها طرق الحج التاريخية ووصف أحوال الناس وطوابع العمران وعادات المجتمعات وتقاليدها وما إلى ذلك من المظاهر الحياتية خلال الطريق إلى الحج ذهابا وإيابا.

وعدا الحرص على الاستزادة من العلم كان هناك تصوير لرؤى حضارية وثقافية تسجلها عيون واعية وأفئدة صاحية سواء من طرف الحجاج العابرين أو من المؤلفين المجاورين الذين تطول إقامتهم فيسجلون المظاهر الحضارية في الديار المقدسة أو في البلدان المختلفة الواقعة في الطريق إلى الحج. فالعياشي ـ مثلا ـ في رحلته إلى الحج يقارن بين المدينتين المشرفتين ويستنتج وضوح الطابع الحضاري في حياة سكان المدينة المنورة. والعبدري في رحلته إلى الحج (ص٢٨٠) يتحدث عن مساجد ومدارس وحمامات بغداد كما يصف بيمارستان القاهرة الذي بناه صلاح الدين الأيوبي.

٤: تيسير الرحلات الجماعية إلى الحج أو ما كان يعرف بمصطلح «ركب الحجيج» أو «الركب النبوي». وقد تطورت الرحلات الجماعية إلى الحج مع انتظام خروج قوافل عديدة إلى الحج وتكاثرها ثم أخذت تنسق فيما بينها إلى أن غدت كيانا واحدا وركبا منتظما من جميع جوانبه ومكوناته. ففي المغرب مثلا ظل ركب الحجيج يتقوى ويزدهر إلى أن غدا مع السنين هو الركب الرسمي للحجاج المغاربة. وهو الركب الذي ترعاه الدولة وتنفق عليه وتحمله الهدايا النفيسة التي كانت تحمل إلى الحرمين الشريفين على عادة السلاطين، ولا شك أن انتقال ركب الحجيج بما يشكله من ثقافة خاصة عبر طرق الحج المعروفة كان يتطلب من الحكام والسلاطين تأمين حياة الحجاج في الطريق وتوفير كل ما هو ضروري ولازم في رحلة الحج الطويلة.

٥: تمتين علاقات التواصل بين الحجاج من مختلف الجهات والمناطق، إذ كان النزول بنقاط الاستراحة والمبيت فرصة لتلاقي الحجاج والتعارف فيما بينهم وتبادل الآراء والأفكار. كما كانت طرق الحج تفتح العيون أمام طريق دار الإسلام أينما كانت. وهكذا قرأنا عن أبي البركات البربري المغربي أنه أقنع حاكم جزر المالديف في المحيط الهندي هو وسكان تلك الجزر باعتناق الإسلام ونبذ البوذية على ما يحكيه ابن بطوطة في رحلته (٢/٢٥٢) الذي كان بدوره من أولئك الذين فتحت طرق الحج عيونهم على اكتشاف المسالك البعيدة خاصة في بلاد الهند والصين.

وبهذا يظهر تعدد أوجه استفادة المسلمين من طرق الحج، حيث ظهرت نتائج اجتماعية وثقافية واقتصادية وتجارية أسهمت جميعها في ازدهار الحضارة الإسلامية. وعبر القرون، ومن خلال كتب التاريخ والرحلات الحجازية وغيرها تم إبراز الآثار الجليلة التي خلفتها هذه الطرق في المجتمعات الإسلامية في الجوانب المختلفة، كما تم إظهار دورها الحضاري الذي قامت به في مجال التواصل الثقافي والإنساني. وبذلك عدت طرق الحج في عصورها المختلفة شاهدا ماديا صادقا لحضارة خلفها أهلها تدل على مدى ثرائهم الثقافي والإنساني.

وهكذا فإن البحث في طرق الحج والرحلات الحجية بحث عن سر عظيم من الأسرار التي كانت وراء إشراقات الإسلام وبناء حضارته واستمرارها وازدهارها وتواصل المسلمين وتفاعلهم فيما بينهم.

الحج
منهج تربوي متكامل

بقلم: الزهراء عبد الحميد
جمهورية مصر العربية

الحج مجمع العبادات ومنتهى الأركان، وهو العبادة الحقة التي تسمو بالفرد والمجتمع إلى مستوى رفيع من الكمال. فكل شعيرة من شعائر الإسلام منهج متكامل لتأصيل قيم الإسلام وأبعاده الحضارية، فالصلاة تحقق توازن الإنسان بين أبعاده الروحية والمادية والدينية، والزكاة تلائم بين أبعاده المادية والاجتماعية، وفي الصيام تحقيق رشيد لصحة الإنسان وسلامته في بدنه وروحه.

والحج باعتباره فريضة شاملة لكل العبادات استوعب أبعاد كل الفرائض، فإن مناسكه وأجواءه تعتبر حلقة تدريبية مكثفة في فترة زمنية محدودة لتمرين الحاج على معايشة أحكام الدين ومقاصده في شكلها العام.

فهو فريضة روحية بدنية مالية، له شبه بالصلاة لما فيه من الوقوف والإحرام، وله شبه بالزكاة لما فيه من بذل المال، وله شبه بالصوم لما فيه من الكف عن محظورات الإحرام.

لذلك كانت المنافع التي شرعها الله وأباحها لعباده في الحج جامعة، تشمل المنافع الروحية والمادية، والاجتماعية والاقتصادية، والسياسية والثقافية والتربوية. وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله: «وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم» (الحج، ٢٧، ٢٨)، فجاء اللفظ نكرة ليدل على كثرة المنافع وتجددها وتنوعها، ومن أبرزها تغذية الروح وتزكية النفس وتقويم السلوك.

الحج دعوة ربانية لحياة جديدة

الحج فرصة للتغيير والاستقامة، وتجديد الحياة والتعلق بالأمل، وهو بذلك دعوة ربانية لحياة جديدة، فبه يغفر الله الذنوب ويزيل الخطايا، قال صلى الله عليه وسلم: «حجوا فإن الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن» (أخرجه الطبراني في الأوسط). فالحج يجدد حياة المسلم ويرفع من معنوياته ويقوي أمله في الحياة ويدعم حسن الظن بالله، ويغرس في النفس معنى العبودية الكاملة، وهو بهذه الأخلاق والآداب يساهم إلى حد كبير في إرشاد العالم إلى

الفضائل وتثبيت القيم، فكان للإسلام فضل لا ينكر في تاريخ الإنسانية وفي تقدم الحضارة العالمية في نواحيها الروحية والمادية.

الحج سلوك حضاري

التوازن والاعتدال بين الروح والمادة، وبين الدنيا والآخرة، وبين الفرد والجماعة توجيه رباني دعا إليه الدين الحنيف ليصلح ما أفسدته الأمم السابقة في خصوص هذه العلاقات. فالقرآن الكريم يدعونا إلى إقامة التوازن العادل بين مطالب الروح ومقتضيات التركيب الجسماني. ويدعونا إلى عبادة الله وحده، هذه العبادة التي تفتح الأمل وتوسع على الناس الحياة وتطلق النفس من قيودها المادية.

والحج بأحكامه وأبعاده منهج متكامل، إذا وعاه الحاج أدرك مدى حرص الإسلام على صياغة حياة الإنسان على أساس من التوازن والاعتدال، ونبذ أشكال الغلو والتقصير، والإفراط والتفريط والتشدد، فهو دورة تدريبية تقام في أفضل زمان وأقدس مكان وأطهر بقعة على وجه الأرض.

فعبادة الحج تجعل الإنسان قريباً من ربه محبوباً عنده، ينعم بالسعادة النفسية والطمأنينة، تجعل الفرد سيد المادة لا عبداً لها، حراً طليقاً لا أسيراً لشهواته وأهوائه، يستمتع بالحياة من غير إسراف، ويحيي حياة الاتزان، إذ إن الغرض من العبادة هو سلامة المؤمن المتزن في عقله وسلوكه، فعندما يختل ميزان الاعتدال تنفلت الشهوات من الرقابة الروحية، ولو لم يكن للعبادة أثر في أخلاق الإنسان وتوازن طاقاته وصحته النفسية، وكان ذلك دليلاً على أنها شكل بلا روح، لا سلطان لها على القلب أو الإرادة التي تحرك الأعضاء والأعمال.

قال صلى الله عليه وسلم: «لا يستقيم إيمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» (رواه أحمد). وقال تعالى: «فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق. ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» (سورة البقرة، ٢٠٠، ٢٠١)، فبينت الآيات أن الهدف من تشريع شعيرة الحج هو تذكير المسلمين بحقيقة التوازن والاعتدال، في العبادة والحياة العامة، وبينت لنا صورة واضحة لصنفين من الناس:

الصنف الأول: طالب دنيا ضيق الأفق كل همه الدنيا فلا يلتفت إلا إليها ولا يحرص إلا عليها، هذا النوع توعده الله بالخسران حين قال: «من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً» (الإسراء، ١٨).

الصنف الثاني: رحب الأفق طالب دنيا وآخرة «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» (البقرة، ٢٠١). هذا النوع ملتزم بمنهج الله الذي يقول: «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا» (القصص، ٧٧).

وفي السياق نفسه يحدثنا القرآن عن مظهر من مظاهر عدم التوازن، والتطرف؛ يميل صاحبه إلى الإفراط حيناً والتفريط حيناً آخر، فقال تعالى: «ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خيرٌ اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين» (الحج، ١١).

ففي الصورة الأولى مطلب مشروع قائم على نظرة تعادلية لمطلب النفس والروح، ويحرص الحج على تأصيل هذه الحقيقة. وفي الصورة الثانية انحراف وخروج عن الجادة والاستقامة، ووقوع بين الإفراط والتفريط.

الحج رحلة للتغيير وضبط النفس

الحج سبيل لمجاهدة النفس وترويضها على الطاعة

وحب الآخريـــن، وضرورة التعايش معهم، فالنفس تأمر صاحبها بالســـوء والتعلق بالدنيا، وتزرع فيه الأنانية وحب الذات دون مشـــاركة الآخرين في آلامهم وآمالهم. والحاج في تلكم البقاع الطاهرة يقاوم كل هذه النزعات الشريرة، ويتمسك بكل فضيلة، ويسعى إلى داعي الحق والخير، فيقبل على الله برغبة منه متشوقاً لما عنده من الأجر العظيم، فيتدرب على خشونة الحياة ليحقـــق انتصاراً على النفس، وعـــلى ماديات الحياة ومتعها، فالحج بهذا المعنى يلتقي مع سائر العبادات الأخرى، ليقاوم ما في الإنســـان من أمراض نفســـية كالأنانية وحب الذات والشـــح، ليستعيضها بمحامد الصفات كالبـــذل والمحبة والتواضع والإيثار، لترتقي النفس وتسمو عن الشهوات وحب الدنيا.

فالحـــج تدريب عملي على الحيـــاة الفاضلة التي يريدها الإســـلام، حياة الاستقامة والمنهج السوي، لا إفراط فيه ولا تفريط، فالحاج يلتزم بحســـن الخلق اعتباراً لحرمة الزمان والمكان، يجاهد نفسه عن البعد عن كل ما يســـخط الله، ويحرص على توطين نفسه على تجنـــب الرذائل والتعلق بالفضائل، يهجر الرفث والفســـوق والجدال وكل ما فيه إيذاء لإخوانه، امتثالاً لأوامر الله تعالى.

الحج رحلة سلام ومحبة

من فوائد الحج بناء النفس المسلمة على الموازنة بين الذاتية والجماعية، فالحج يساهم بأحكامه في إشاعة المســـاواة بين الناس جميعاً بقطع النظر عن ألوانهم وأجناسهم وأنسابهم، ويجمع شمل المؤمنين ويؤلف بين قلوبهم، ويحقق فيها التعارف على البر والتقوى، ويوفر الإخاء والمحبة والوئام والسلام، ويربط الإنسان بأمته.

ومن أهداف الإســـلام في الحج غرس حب السلام في النفوس، واســـتئصال روح الكراهية والبغضاء، وتوجيه الناس إلى أن يعيشوا إخوة متحابين، فالحاج أثناء الإحرام مطالب بأن يكون مسالماً، يترك الفسوق ويدع الجدال، ليس مع إخوانه من الحجيج فقط، بل حتى مع كل الكائنات من شجر وحيوان.

وبذلك يحقق الحـــج دوره في تزكيـــة النفوس ونقائها، وإشاعة السلام بين الناس.

الحج أمن وأمان

عندما يأتي شهر ذي الحجة يحمل معه ذكريات مجيـــدة تتعلق بتاريخ الإنســـانية وصلتها بالله عز وجل، فهو يذكر بالبيت الـــذي وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين، ويذكر بموطن الرسالة الأولى للبشرية من قبل الله عز وجل. وهي رســـالة الهدى وتوضيح الطريق الحق. من هذا البيت كانـــت بداية التوحيد والهداية، إنه المكان الذي اختاره الله ليكون مسجداً يتقرب فيه المتقربون، ويتعبد إليه المتعبدون، ســـماه الحرام، لأنه يحـــرم فيه ما لا يحـــرم في غيره، فيه يضاعف الأجر.

لهذا الســـبب جعله الله مدار الحج ومنبع الأمن والأمان والســـلام، والكعبة الحرام جعلها الله مثابة للناس وأمناً، أقام إبراهيـــم أركانه على هذا الاعتبار بمعية ابنه إسماعيل عليهما السلام.

لذلك كان مـــن الأدب أن يقول المحرم عند رؤيته للبيت الحرام: «اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالســـلام، اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتكريماً ومهابة، وزد من حجـــه أو اعتمره تكريماً وتشريفاً» فمن دخلـــه كان آمناً، لذا يحرم حمل الســـلاح فيه، والغاية المقصودة من ذلك تعويد المسلمين على قيمة الأمن، والعمل على إشـــاعته بين الناس، وغرس حب السلم والسلام فيهم، وتحريم الظلم والاعتداء مهما كان نوعه، والمحافظة على الطبيعة بأشجارها وحيواناتها وسائر مكوناتها. فالمسلم صديق للبيئة محب لجميع الكائنات عاشق لجمالها ملتزم بقوانينها.

مساجد
مكة المكرمة
شواهد حاضرة على التاريخ الإسلامي

إعداد: عبدالله حسين

مكة المكرمة، مهبط الوحي، فيها أنزل الله كتابه على خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام، ضمت بين وديانها وشعابها مساجد تاريخية وأثرية كان لها شأن عظيم في حياة المسلمين، واهتمت حكومة المملكة العربية السعودية بهذه المساجد وعمارتها والمحافظة عليها لتكون شاهد عيان على القيمة الكبيرة لتاريخنا الإسلامي العريق.

مسجد البيعة

على بعد ٥٠٠ متر من جمرة العقبة الكبرى يلحظ الحجاج العابرون لمنطقة الجمرات مصلى لا سقف له، يحوي محرابا وملحقا به فناء أكبر من مساحته، يطل على منى من الناحية الشمالية في السفح الجنوبي لجبل «ثبير» المطل على الشعب المعروفة باسم «شعب الأنصار» أو «شعب البيعة». ورغم أن موقع البيعة الكبرى (الثانية) يعود إلى السنة الثالثة عشرة من البعثة النبوية، عندما بايع ٧٢ رجلا وامرأتان من الأوس والخزرج النبي، صلى الله عليه وسلم، على الإسلام والنصرة، إلا أن تاريخ «مسجد البيعة» الأثري يعود إلى سنة ١٤٤هـ، عندما بناه الخليفة العباسي أبوجعفر المنصور في الموضع الذي تمت فيه البيعة تخليدا لهذه الذكرى. والملاحظ أن بعض من يمر على المسجد يجتهد في تمرير معلومات خاطئة عن تاريخ المصلى للزائرين، مستغلا غياب لوحة إرشادية تشرح تاريخ وأهمية المكان.

وفي هذا المسجد حجران كتبت على أحدهما عبارة «أمر عبد الله ـ أمير المؤمنين أكرمه الله ـ ببنيان هذا المسجد»، في إشارة إلى الخليفة العباسي، وبه رواقان من الجهتين، الشامية واليمانية، بطول ٢٣ ذراعا وعرض ١٤ ذراعا ونصف الذراع، كل منهما مسقوف بثلاث قبب على أربعة عقود وبابين، وطول

المسجد من محرابه إلى آخر الرحبة ٣٨ ذراعا وسدس الذراع. وما زال المسجد يحتفظ بشيء من مساحته ونقوشه الإنشائية، إذ يوجد به نقش إنشـــائي يؤرخ لعمارته، وآخر تذكاري من الفترة نفسها، ونقش إنشـــائي مؤرخ في سنة ٦٢٥هـ. وقد ظل المســـجد متواريا عن الأنظار خلف الجبل، ومع التوسعة الجديدة في المشـــعر لطرق المشـــاة والحافلات وإزالة الجبل ضمن مشروع منشـــأة الجمرات، ظهر جلياً للجميع بالقرب من جسر الجمرات.

مسجد التنعيم

يقع شـــمال مكة المكرمة على طريق المدينة المنورة، وعلى بعد (٧) كيلومترات من المســـجد الحـــرام، وهو أقرب موقع لحـــد الحرم، وقد أعيد بناؤه في المـــكان الذي أحرمت منه أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، بالعمرة في حجة الوداع سنة ٢٩هـ، ويعرف باسم مســـجد عائشة، كما أعيد بناء المسجد في عهد خادم الحرمين الشريفـــين الملك فهد بن عبدالعزيز - رحمه الله - على مساحة إجمالية تبلغ (٨٤,٠٠٠) متر مربع، بتكلفة إجمالية بلغت (١٠٠) مليون ريال، أما مساحته فتبلغ (٦٠٠٠) متر مربع، وطاقته الاستيعابية (١٥) ألف مصلٍ.

مسجد الجعرانة

في شرق مكة المكرمة يوجد «مسجد الجعرانة» الذي يقع بمنطقة الجعرانة، ويبعد عن المســـجد الحـــرام نحو (٢٤) كيلومتراً، ومنـــه يحرم أهل مكة المكرمـــة، وأعيد بناؤه على الطراز الحديث في عهد خـــادم الحرمين الشريفين الملك فهد بـــن عبدالعزيز - رحمه الله - على مســـاحة تقدر بـ(٤٣٠) متراً مربعاً، وبتكلفة مليوني ريال، وبطاقة اســـتيعابية بلغت (١٠٠٠) مصلٍ.

وفي بلدة الجعرانة التي يقع فيها المســـجد قسم الرسول، صلى الله عليه وسلم، الغنائم التي اغتنموها من هوازن في غزوة حنين عام الفتح، وقد أقام بها الرسول، صلى الله عليه وسلم، بضع عشرة ليلة لم يقسم الغنائم منتظرا قدوم هوازن تائبين، ولما وزعها جاء وفد هوازن تائباً، وهو بالجعرانة، فسألوه أن يرد إليهم ســـبيهم وأموالهم، فقال لهم اختاروا إما السبي أو المال، فاختاروا الســـبي، فطلب من المسلمين رد السبي بطيب نفس ففعلوا، ثم أحرم منها ليـــلاً ورجع بعد أداء العمرة في الليلة نفسها، وأمر جيشه بالرحيل إلى المدينة المنورة.

مسجد الجن

يقع شمال المسجد الحرام، ويبعد عنه نحو (٢٠٠٠) متر تقريبا، وهو بجوار مقبرة المعلاة بمكة المكرمة، وسمي بذلك لأن النبي، صلى الله عليه وســـلم، خطى لابن مسعود في هذا الموضع عندما جاء الجن يبايعون الرســـول، صلى الله عليه وسلم، وقد سبق أن التقوا به في موضع نخلة أثناء عودته من الطائف، كما يطلق عليه اسم مسجد الحرس، وقد أعيد بناؤه على الطراز المعماري الحديث عام ١٤٢١هـ.

مسجد الحديبية

يقع على طريق جـــدة القديم بالقرب من مكة المكرمة،

ويعرف الآن بالشـــميسي، ويبعد ٢٤ كيلومتراً من المسجد الحرام، ونحو (كلم) من حد الحرم، وبني المسجد الحديث بجوار المســـجد الأثـــري القديم المبني بالحجر الأســـود والجـــص، وفي الحديبيـــة تمت بيعة الرضـــوان في العام السادس الهجري.

مسجد الإجابة

يعود تاريخه حســـب الروايات إلى زمن قدوم الرسول، صلى الله عليه وسلم، يوم فتح مكة، ويقع في شعب قرب ثنية ذاخر، بالقرب من حي المعابدة، على يســـار الذاهب إلى منى، وهو مسجد مشـــهور، يقال إن النبي، صلى الله عليه وسلم، صلى فيه المغرب عنـــد قدومه يوم الفتح، وكان طوله حينها ثمانية عشر ذراعا، وكذلك عرضه، وهو في شـــعب آل قنفذ، وتم تعميره حديثا.

وقد عُمِّر مســـجد الإجابة مرات عدة في العهد السعودي، آخرها عام ١٤٢٢ هـ، وهي عمارة حسنة، حيث كسي المسجد من الخارج بالرخام الملون، وجعلت في وســـطه قبة جميلة ومنارة خارج بناء المسجد.

مسجد الخَيف

الخَيف بفتح الخاء وســـكون اليـــاء ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مســـيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف، ويقع في سفح جبل منى الجنوبي قريبا من الجمرة الصغرى، وقد صلى فيه النبي، صلى الله عليه وسلم، والأنبياء من قبله.

فعن يـــــزيد بن الأسود قال: شهدت مع النبي، صلى الله عليه وســـلم، حجته فصليت معه صلاة الصبح في مسجد الخيف. وكان المسجد موضع اهتمام وعناية خلفاء المسلمين على مر التاريخ، وتمت توسعته وعمارته في سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، بتكلفـــة ٩٠ مليون ريال، وبه أربع منائر، وهو مكيف بـــ٤١٠ وحدات تكييف، كما تســـاعد على تلطيف الهواء في المسجد ١١٠٠ مروحة، ويليه مجمع لدورات المياه، وتوجد بـــه أكثر من ألف دورة ميـــاه وثلاثة آلاف صنبور للوضوء.

مسجد نمرة

مســـجد نَمرة بفتح النون، وكسر الميم وســـكونها من أهم المعالم في مشـــعر عرفات، وبه يصلي عشرات الآلاف من ضيوف الرحمن صلاتي الظهر والعصر في يوم عرفة جمعاً وقصراً، اقتداء بالرسول، صلى الله عليه وسلم.

وبني المســـجد في الموضع الذي خطب فيه الرسول عليه الصلاة والســـلام في حجة الوداع، وذلك في أول عهد الخلافة العباســـية، في منتصف القرن الثاني الهجري، وهو يقع إلى الغرب من المشـــعر، وجزء من غرب المسجد في وادي عرنة، وهو واد من أودية مكة المكرمة نهى عليه الصلاة والســـلام من الوقوف فيه، حيث قال المصطفى، صلى الله عليه وســـلم (وقفت هاهنا وعرفات كلها موقف إلا بطن عرنة ..)، وبطن وادي عرنة ليس من عرفة، ولكنه قريب منها.

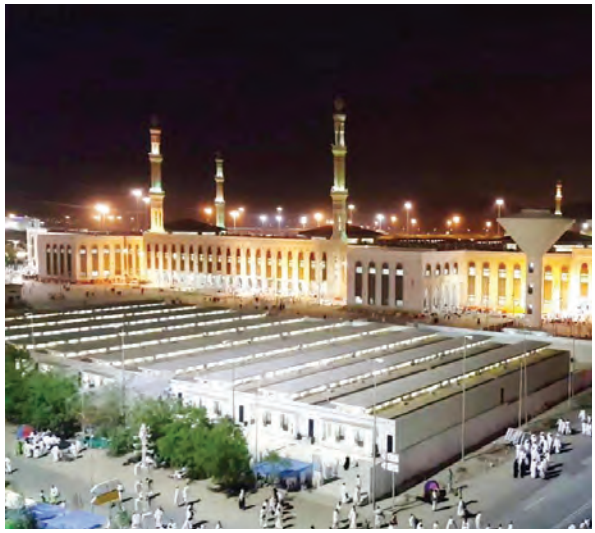

ومر المسجد بتوسعات على مرِّ التاريخ، وبعد اتساعه أصبحت مقدمة المسجد خارج عرفات، ومؤخرته في عرفات، وهناك لوحات إرشادية تشير إلى ذلك لكي يعرف الحجاج مواقفهم.

وشهد مسجد نمرة أكبر توسعة له في التاريخ في العهد السعودي بتكلفة ٢٣٧ مليون ريال، وصار طوله من الشرق إلى الغرب ٣٤٠ مترا، وعرضه من الشمال إلى الجنوب ٢٤٠ مترا، ومساحته أكثر من ١١٠ آلاف متر مربع، وتوجد خلفه مساحة مظللة تقدَّر بـ٨٠٠٠ متر مربع، ويستوعب المسجد نحو ٣٥٠ ألف مصل، وله ست مآذن، ارتفاع كل مئذنة منها ٦٠ متراً، وله ثلاث قباب، وعشرة مداخل رئيسية تحتوي على ٦٤ بابا، وفيه غرفة للإذاعة الخارجية مجهزة لنقل الخطبة وصلاتي الظهر والعصر يوم عرفة مباشرة بواسطة الأقمار الصناعية.

مسجد المشعر الحرام

عندما يسلك الحاج الطريق رقم ٥ في رحلة العودة من عرفات يجد في بداية مزدلفة أمامه «مسجد المشعر الحرام»، حيث نزل النبي، صلى الله عليه وسلم، عند قبلته في حجة الوداع، ويقع في منتصف المسافة تقريبا بين مسجدي نمرة في عرفات والخيف في منى، لكون مزدلفة واقعة بين عرفات في شرقها، ومنى في غربها.

تمت عمارته وتوسعته عام ١٣٩٥هـ على الشكل المستطيل الحالي، بتكلفة خمسة ملايين ريال، وبلغت مساحته ٥٠٤٠ مترا مربعا، بطاقة استيعابية ١٢ ألف مصل، وطوله ٩٠ مترا (من الشرق إلى الغرب)، وعرضه ٥٦ مترا، وفي مؤخرته منارتان بارتفاع ٣٢م، وله ثلاثة مداخل في الجهات الشرقية والشمالية والجنوبية، ونوافذ وشرفات مسننة تلتف حول سطحه.

وقد أعيد بناء المسجد على الشكل المستطيل بالآجر المغطى من الخارج بالأحجار المصقولة، وتخطيطه عبارة عن كتلة ضخمة من البناء مغلقة مقسمة من الداخل ببائكات مكونة من عقود (أسقف) نصف دائرية، محمولة على أعمدة أسطوانية.

الحج في مرآة ابن جبير الأندلسي

بقلم: د. إبراهيم نويري

يعـــدّ الرحالة محمـــد بن أحمد بن جبـــير الكناني الشاطبي البلنسي الأندلسي المشهور لدى جمهور القراء بابن جبير الأندلسي (٥٣٩ ــ ٦١٤ هـ / ١١٤٤ ــ ١٢١٧م) من أشـــهر الرحالة العرب والمسلمين الذين أحسنوا تصوير مشـــاهداتهم ومرئياتهم في مختلف البلدان والأقطار التي وطئوا ثراها ونزلوا بساحاتها ودرجوا على أديمها.

وقد ذكـــر بعضُ المؤرخين أن ابـــن جبير قام بثلاث رحـــلات متفاوتة في مداها الزمنـــي، إلا أنه لم يدوّن منها ســـوى الرحلة الأولى، وهي الموسومة بـ «تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأســـفار»؛ وقد كتبها بطريقة تدوين المذكّـــرات اليومية والمشـــاهدات الآنية وهي طريقة التوثيق السريع للمشاهَد والانطباعات وغالبًا ما يعود إليها كاتبها ليعيد صياغتها اللغوية كي تأتي متماسكة من الناحية الأســـلوبية ومن جهة التعبير الفني.

ولعـــلّ أول ما يلفت نظرنا في هذه الرحلة إشـــارة ابن جبير إلى صعوبة وأخطار بلوغ مكة المكرمة في ذلك الوقت (أواخر القرن السادس الهجري)؛ مثل قوله: «والركوب إليها من جُدة آفة للحجاج عظيمة إلا الأقل منهم ممن يســـلمه الله عز وجل، وذلك أن الرياح تُلقيهم على الأكثر في مراسٍ بصحارى تبعد منهـــا مما يلي الجنوب... وربمـــا كان من الحجاج من يتعسّـــف تلك المَجهلة على قدميه فيضلّ ويهلك عطشاً، شاهدنا منهم مدة مُقامنا أقواماً قد وصلوا على هذه الصفة في مناظرهم المســـتحيلة وهيئاتهم المتغيّرة...» (ص ٤٦).

ثمّ يصور ابن جبير مدى انبهاره وانشداهه بمنظر الكعبة المشرفة وســـط البيت العتيق، ويذكر طواف القدوم والسعي بين الصفا والمروة والإقبال على شرب ماء زمزم، ولا يفوته التذكير بالحديث النبوي الشريف الـــذي ورد في فضله، كما لا ينـــسى إزجاء الحمد لله تعالى الذي وفّقه ومَن معه من مرافقين إلى نعمة بلوغ مكة المكرمة والاستمتاع بأداء مناسك العمرة والحج، فيقول: «فألفينا الكعبة الحرام عروساً مجلوّة مزفوفة إلى جنة الرضوان محفوفة بوفـــود الرحمن، فطفنا طواف القدوم، ثم صلينا بالمقام الكريم، ودخلنا قبّة زمزم وشربنا من مائها، وهـــو لما شُرب له، كما قال صلى الله عليه وسلم، ثم سعينا بين الصفا والمروة، ثم حلَقْنا وأحللْنا. فالحمد لله الذي كرّمنا بالوفادة عليه وجعلنا ممن انتهت الدعـــوة الإبراهيمية* إليه وهو حسبنا ونعم الوكيل...» (ص ٥٨).

أمـــا الوقوف بعرفة الذي كأنه يعـــدل الحج ــ وإنْ كان ركناً من أركانه فحسب ــ كما يُفهم من أسلوب الاستغراق الذي استخدمه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «الحجّ عرفة» (متفق عليه)، فقد وصفه ابن جبير وصفاً مسهباً ضافياً، نقتطف منه هذه العبارات الموجزة، مع الإشـــارة إلى أنه واكب خلال ذلك العام يوم الجمعة، يقول: «والقبلة في عرفات هي إلى مغرب الشـــمس، لأن الكعبة المقدّســـة في تلك الجهة منها، فأصبح يوم الجمعة المذكورة في عرفات جمعٌ لا شبيه له إلاّ الحشر، لكنه إن شـــاء الله تعالى حشرٌ للثواب، مبشّر بالرحمة والمغفرة يوم الحشر للحساب، وزعم المحققون من الأشياخ المجاورين أنهم لم يعاينوا قطّ في عرفات جمعاً أحفل منـــه... فلما جُمع بين الظهر والعصر يوم الجمعة المذكور وقف الناس خاشـــعين باكين، وإلى اللـــه عز وجل في الرحمـــة متضرّعين، والتكبير قد علا، وضجيـــج الناس بالدعاء قد ارتفع فما رُؤيَ يوم أكثر مدامع ولا قلوباً خواشع ولا أعناقاً لِهَيْبَة الله خوانع من ذلك اليوم...» (ص ١٥٢).

من الفن الإسلامي